

لويس ماسينيون

المُتَنَبِّي (عَمَّ)

بإزاء القرنين إسماعيل في تاريخ الإسلام

ترجمة وفعلية ودراصة

د. إبراهيم عوض



لويس ماسينيون

المُتَنَبِّي (عَمَّ)

بإزاء القرنين لاسماعيل في تاريخ الإسلام

ترجمة ونعلية ودراسة

د. إبراهيم عوض

الإهداء

إلى الأستاذ سيد أحمد أبو رية (بطنطا) ، بمناسبة
بلوغه سن المعاش ، تكريماً له لقاء ما علم وأدب
وربى ، أستاذاً فوكيلاً مُمفَتشاً فى حقل التربية والتعليم . أطال
الله عمره ، ومتعه بالصحة والرضا ، وأسعده بأهله وأولاده .

مع خالص تحياتى وموداتى

إبراهيم عوض

تلميذه القديم بالأحمدية الثانوية بطنطا

عام ٦٥ - ١٩٦٦

« دعاء »

اللهم من ظلمنى فعليك به يا جبار السماوات والأرض .
اللهم تول ، بما ترى ، يداً بخستنى حقى ، ولسانا وسوس بالشر
ضدى بغير حق وزينه وحث عليه، وفما خرس عن قولة الحق وهو
يقدر ويعلم ولكنه آثر الابتهاج بالظلم والتلذذ الاثم به . اللهم
إنى أحتسب هذا الظلم عندك يا أكرم الأكرمين ، فكفر به عنى
سيئاتى ، وزد حسناتى . ولك العتبى حتى ترضى . ولا حول
ولا قوة إلا بك .

بسم الله الرحمن الرحيم

منذ أكثر من سنة وأنا أبحث عن هذه الدراسة عن المتنبي للمستشرق الفرنسي لويس ماسينيون (انتى أقدمها للقارىء مترجمة إلى العربية) . وأخيرا قدر لى أن أجدها وأنا أراجع تجارب الطبع للصفحات الأخيرة من كتابى « لغة المتنبي - دراسة تحليلية » . وكنت فى الهامش / ٥١ فى صفحة / ٢٨٦ من هذا الكتاب قد اعتمدت على كتاب د. شوقي صيف « الفن ومذاهبه فى الشعر العربى » فى عرض رأى المستشرق الفرنسى فى بيت المتنبي المشهور :

وما الثانيت لاسم الشمس عيب ولا التذكير فخر للملال

فانتبهت الفرسمة ، ونصمت على موضع رأى ماسينيون فى دراسة ماسينيون نفسها . ولكنى قلت لنفسى : إن هذه الدراسة جديدة بالترجمة إلى العربية ودراسة مستقلة مفصلة ، لخطورة النظرية التى تحتوى عليه . وبالفعل ترجمتها ، وكتبت عنها الدراسة الملحق بها ، وأرجو أن يكون عملى هذا نافعا لدارسى الأدب العربى ، ودارسى شعر المتنبي وشخصيته بوجه خاص .

والحقيقة أن صاحب الفضل فى العثور على هذا النص هو

الأب « جان ماري ميريجور » المسؤول عن مكتبة دير الآباء الدومينكان بالعباسية ، فهو الذي ما إن علم برغبتي في الحصول على هذا النص (وكانت أول مرة يرانى فيها ، وكان ذلك منذ عدة أسابيع) حتى أخذ يدور معى في أنحاء المكتبة بين الفهارس والكتب يبحث عن الكتاب الذى يمكن أن توجد فيه هذه الدراسة . ولكننا فى ذلك اليوم لم نوفق إلى شيء . ثم فوجئت بأحد طلبة الدراسات العليا بأداب عين شمس (قسم التاريخ ، وهو السيد / عزت عبد الحق ، الذى يتردد على المكتبة المذكورة كثيرا) يرسل إلى النص الفرنسى مصورا ، ويخبرنى أن الأب ماريجو قد وجده بعد بحث وتقص طويلين وصوره لى (وجده الأب الفاضل فى :

Recherches et Documents

Louis Mennigau, OPERA MINORA

Textes recueillis, classés et présentés avec une bibliographie par Y. Moubarek, sous le patronage du Centre d'Etudes Dar El-Salam, Tome I.

Dar Al-Maaref — Liban, 1963, pp. 488 — 498

وكان قد نشر اهلا فى :

Mém. de l'Inst. Fr. de Damas, 1935, pp. 1 — 17.

وعنوانه :

(Mutanabbi devant le siècle ismaélien de l'Islam)

ولا يقف فضل الأب ميريجو عند هذا ، بل إنى راجعت منه

عددا من التعبيرات الماسيتيونية ، ودارت بيننا مناقشات مطولة
حول بعض أفكار المستشرق الفرنسي كان يبدى فيها استغرابه
عندما كنت أخبره أن ماسينيون قد أصدر هذا الحكم أو ذاك
من غير أن يذكر مصدرا أو مرجعا أو بناء على عبارة طائفة
امتلتها من سياقها .

كذلك ينبغي أن أشكر د. هدى وصفى (الأستاذة بقسم
اللغة الفرنسية بآداب عين شمس) ، التى كنت قد راجعت معها
بسرعة بعض العبارات المذكورة .

والحمد لله أولا وآخرا .

إبراهيم عوض

١٩٨٧/١١/٢٢

« المختبى بإزاء القرن الإسماعيلي في تاريخ الإسلام »

إن النصوص التى كتبها بالعربية طائفة من المؤلفين الإسماعيليين القدماء والتى عثر عليها مؤرخا الأستاذان إيفانوف والهمدانى (١) فى مدينتى سورات وبومباى الهنديتين من شأنها أن تساعدنا على أن يكون فهمنا أفضل للوجه المزدوج للقرن الرابع الهجرى ، الذى يسميه مترعر « النهضة » الإسلامية . أما أنها كانت نهضة فى الفلسفة والعلوم القديمة فذلك مما لا شك فيه (ولكن باستثناء الفنون) ، مع تلوين جديد (وعلى نحو أعمق) للشعور الدينى الإسلامى ، الذى أسخطه وأيضاً شرهته لدرجة التجديف (أو الخروج عن حدود الدين ذاته) عقيدة مهدوية اجتماعية نبعت من تلك الصيغة الثورية للمذهب الشيعى المعترف به ، تلك الصيغة التى يطلق عليها اسم « المذهب الإسماعيلي » .

إن القرن الرابع الهجرى ، الذى يبدأ بإعلان الخلافة الفاطمية فى المهدية ، والذى ينتهى بانتشار دائرة المعارف التى وضعها « إخوان الصفا » بهدوء وفى صمت ، يمكن جداً أن نطلق عليه « القرن الإسماعيلي » فى تاريخ الإسلام . وفى ذلك

V. Ivanow, A Guide to Ismaili Literature, R.A.S., (١)
Londres, 1933; H.F. Hamdani, J.R.A.S., Londres, 1933, 359 —
378 ; A.A. Fyzee, J.R.S. Bombay, 1935, 59 — 65.

الوقت كانت الدعاية التي تقوم بها الجمعيات القرمطية السرية من أجل اكتساب أتباع جدد ، والتي انطلقت من مركزها في الكوفة وتغلطت في جميع أرجاء الإمبراطورية العباسية ، تعاصر على الدوام العاصمة بغداد ، حيث تتالت عمليات إعدام « المتأمرين » القرامطة ، ابتداء من إعدام مهدي سنة ٢٩٠ هـ وكذلك إعدام الحلاج في سنة ٣٠٩ هـ . وما نحن أولاء الآن قد أصبح بحوزتنا وثائق كتبها مؤلفون إسماعيليون وقرامطة عن أبناء مذاهبهم ، مما يسمح لنا بتتبع تسرب أفكارهم إلى الأدبي العربي في ذلك العصر .

وقبل ذلك ، كان النقد الأدبي ، بالنسبة لأعمال أبي العلاء المعري ، يأتي قبل اكتمال الحقائق المتعلقة بهذه الأعمال ، إذ إن هؤلاء الذين استطاعوا الاطلاع على كتاب « المجالس » الذي اكتشف مؤخرا لأستاذة وصديقه المؤيد السلطاني الشيرازي (١) ، الذي لم يكن شخصا آخر سوى الداعية الإسماعيلي الكبير ، يعرفون أن المرارة الارتيازية التي تنضج بها « اللزوميات » و « رسالة الغفران » لا يصح النظر إليها بوصفها سمة فردية ، بل بوصفها شاهدا على تفتح بذور الشك المنهجي والتهكم التمردى اللذين كانت تتضمنهما التعاليم الدعائية السرية للجمعيات الفكرية الإسماعيلية في مثل هذه التربة النفسية المواتية .

ونفس الأمر بالنسبة للمتنبى ، فإن مؤرخ الأدب لم يعد بإمكانه أن يهمل ذلك التهور الذى أقدم عليه الشاعر فى شبابه وقبض عليه أثناء بوصفه « متنبئاً » ، هذه المغامرة التى يقلل مترمن شأنها إلى أقصى حد ، متابعا فى ذلك النهشلى . أما بلاشير فقد انتهز الفرصة وعارض هذا الرأى فى مقالته عن « المتنبى » بدائرة المعارف الإسلامية . وهذا هو التصحيح الذى أريد ، من وجهة نظر التاريخ الاجتماعى والدينى ، أن أبرزه وأوسع ، وذلك من خلال تجميع بعض الملاحظات فى موضوعين أساسيين : ١ - أن المتنبى الذى ولد فى بيئته يمنية شيعية فى الكوفة ، قد تشكلت شخصيته فى تلك المدينة وفى الصحراء فى محيط قرمطى تحديدا ٢٠ - وأن هذا القرمطى القديم ، برغم فشله ككائن بدوى ، لم يستسلم تماما قط أو يتأقلم كلية مع المذهب الشيعى المحافظ الذى كان يعتنقه الأمراء وحماة الأدب الحمدانيون فى الشام . وبالنسبة لحياته فى المدن ، فإن هذا البدوى المترحل الذى ظل قلقا فى هذه البيئة الجديدة ، والذى اضطر إلى بيع قصائده (٢) للأمراء والأعيان يمتلىء شعره بتناول شديد واعتزاز بالنفس ومرارة ميتافيزيقية مفرقة فى إسماعيليتها (٤) .

(٣) الديوان (ط ٠ دار صادر / بيروت / ١٩٠٠) / ٤٣٧ .

(٤) انظر « مناقبات » الخليفة الفاطمى المعز (من مجموعتى /

٢١٧) . ويلاحظ أيضا الألقاب العربية الجاهلية (مثل « معد »

و « نزار ») التى كان يتسمى بها الحكام الفاطميون .

١ - الكوفة ، البيئة الاسرية الشيعية

والدور الكبير لبنى كلب

في انتفاضات القرامطة بالصحراء

إن دراسة الأوساط الاجتماعية بالكوفة التي لايد منها لهمم القرون الثلاثة الأولى من الإسلام العربى قد شرعت تعطى للباحثين بعض النتائج (٥) . ولنلاحظ ، فيما يتعلق بالمتنبى ، أن الحى الذى ولد فيه فى تلك المدينة هو حى « كندة » (٦) ، وأن « جمعيا » وهى القبيلة التى ينتمى إليها أبوه عبدان السقاء كانت مرتبطة أشد الارتباط بأئمة الشيعة (٧) ، علاوة على أن جدته ، وهى الوحيدة من أسرته التى رضى أن يذكرها فى

(٥) مثل التفتيشات التى يسندات فى الحيسرة (Talbot Rice, G. Reitlinger 1932) ، ويبحثنا
"Explication du plan de Kufa" (مع ثلاث خرائط)
Ap. Mélanges Mâspero, t. III, le Caire, 1935, pp. 337 — 360.

(٦) وكان حيا مكونا من ثلاثة آلاف بيت « ما بين رواء وجمع »
كما يقول البغدادى فى « خزائن الأدب » ٢٠٢/٧ .

(٧) قدمت « جمعيا » أربعة زعماء متوالين للشيعة المتطرفين بالكوفة ، وهم : جابر ، ومفضل وابنه محمد ، وعمر بن الفرات انظر بحثنا :

Origines Shi'ites de la famille vizirale des Banu'l Furât, ap. Mélanges Gaudetfroy - Demombynes, le Caire, 1935, p. 2.

شعره (٨) ، كانت ، بشهادة أحد العلويين الذي هو مرجعنا الوحيد بالنسبة لهذه الفترة ، « من صلحاء الكوفة » ، من همدان (وربما من بطن « السبيع » من هذه القبيلة) ، تلك القبيلة المتأججة في شيعيتها ، والتي جرئت نساؤها على أن يندبن الحسين في السنة التالية مباشرة لوفاته (٩) . وإذا كان المتنبى ، لأسباب معينة (١٠) ، لم يتحدث إلا في الندرة عن ذويه ، فإنه كان يفتخر بأنه « يمانى » (١١) .

وسوف نجد في تخطيطنا (للكوفة) الأحياء الأخرى التي ورد ذكرها في أشعاره ، وهى : بارق ، والسكون (أو الكناس) ، والثوية (١٢) . وقد اتسم التشيع بين أصحاب الحرف الصغيرة

(٨) وذلك فى مريثة خاصة : الديوان / ١٤٣ ، وشرح

العكرى / ٢ / ٣٤٤ .

(٩) انظر Explication du plan de Kufa, p. 360 ، وكذلك

الديوان / ٧٤ .

(١٠) وهى انتسابه غير الشرعى (من قبل أمه) إلى الفاطميين،

وهو ما يفسر كثيرا من الأمور ؛ وقبوله فى نفس المدرسة العلوية بالكوفة ، مثله مثل أولاد الاشراف العلويين (خزانة الادب / ٢ / ٣٠٣) ؛ واحتقاره لمكانة عبدان (وهنا ملاحظة عابرة ، هى أن هذا الاسم يجانس اسم الداعى القرطى بالاحساء) ؛ والاهمية المقصورة ، فى رايه ، على الانضمام إلى الجماعات السرية .

(١١) وذلك فى قوله : « أن كل كريم يمانى » ، الديوان / ٢٦ ،

والعكرى / ٢ / ٤٠٣ .

(١٢) ap. " explication du plan du Kufa " 1. C.

وسوف يعود للحياة فيها من ٣٥١ إلى ٣٥٣ هـ (هناك خمس قصائد نظمت فى الكوفة) . - الديوان / ٧٤ ، ٣٢٦ (اسمان) ،

بالكوفة بالثورية والدعوة إلى المساواة . وكانت إحدى الفرق المتطرفة التي أصبحت معروفتنا بها الآن أفضل كثيرا ، وهي فرقة « الخطابية » ، قد نجحت في إنشاء حركة واسعة سرية لاكتساب الأتباع الجدد ، انتشرت من الكوفة إلى سائر المدن الكبيرة ، وذلك بفضل أصحاب الحرف : وهي المؤامرة القرمطية ، أو بتعبير آخر المؤامرة الإسماعيلية ، التي كانت قد انتقلت منذ عام ٢٨٠ هـ إلى العمل المباشر ، وإلى الثورة التي اخترقت الكوفة خمس مرات (في أعوام ٢٩٣ ، ٣١٣ ، ٣١٥ ، ٣١٩ ، ٣٢٥ هـ) ، وذلك اعتمادا على اتخاذها « داري هجرة » عسكريتين على طرف بادية السماوة : الأولى في الشرق ، على مشارف الكوفة (وقد تكون ، كما يقول موزيل ، هي قصر الأخيضر الحالي) ، والثانية في الغرب ، على مشارف حمص ، في ناحية سلمية (أي في جبل الأعلى) (١٢) . ولنلاحظ الآن أن هذه الأخيرة كانت تعتمد على فخذ من قبيلة كلب ، وهم بنو عدي ، الذين ، بتوجيه من بنى عليم بن ضمضم ، قد أقسموا في عام ٢٨٩ هـ ألا يالوا جهدا ، ما بقي فيهم نفس يتردد ، في نصرة الدولة الفاطمية المستقبلية ، جارين معهم أبناء عمومتهم بنى الأصبح (١٣) ، الذين

والعكبري / ٢٩٨ ، والبديعي (على هامش العكبري) / ٢٠ / ١ .
 و « الوساطة » (ط ٠ الزين / ١٩١٣) / ٤١١ .
 (١٢) وهو معقل الدروز في القرن السادس عشر .

(١٤) الطبري / ٢٢١٨ / ٢ ، و

Wüstenfeld, G.T., pl. 2, / Lignes 27 et 34

كادت أن تقضى عليهم في عام ٢٩٥ خمس سنوات من القمع الدموي . وعلى حين أن آخر من تبقى من الزعماء ، وهو عبيد الله (الذي ولد في ٢٥٩ هـ ، في سلمية) ، قد فر إلى إفريقيا ، فإنهم سوف يثورون من جديد في ٣١٨ هـ (١٥) . ونفس بنى عدى هؤلاء هم الذين سيجرون قبيلة كلب الى الوقوف مع المتنبى في ٣٢٦ هـ (١٦) ، وينجحون في اثارة حلفائهم في هذه المنطقة حتى اللاذقية . ونحن الآن مضطرون إلى الإقرار بأن ذلك الصبى قد زكى لهم ، بناء على أسباب وجيهة ، سواء كانت هذه الأسباب هي الصلة الأسرية أو التحول إلى المذهب الإسماعيلي (١٧) ، من قبل زعماء هذا المذهب ، الذين كانوا حينذاك هم الرؤوس المدبرة للمؤامرة الفاطمية .

وبالنسبة لشيعه ثوريين يؤمنون بالمساواة كالقرامطة فقد كانت الصلة الأسرية الحقيقية هي الدخول في المذهب (هو « النكاح » الصحيح) . لقد كان أبو الخطاب يسمى « أبا

(١٥) عريب / ١٤٦ .

(١٦) الديوان / ٤١ ، والعكبرى / ٢٠٧/٢ . ويبدو لنا ان التاريخ الذي حدده بلاشير ، وهو ٣٢٢ هـ ، سابق على هذا التمرد ، وان اسم والى حمص لا يحتم علينا قبوله .

(١٧) يظن الاستاذ بلاشير ان الذى دعاه وحوله إلى المذهب الإسماعيلي هو شخص اسمه أبو الفضل (انظر فى هذه الكنية : الطبرى / ٢٢٢٨/٣) يلقب بـ « المتفلسف » (خزائن الأدب / ١١ / ٣٠٤) .

إسماعيل ، « أئى الأخ الأكبر للإمام جعفر (١٨) ، وبالعكس ، فعلى حسب العقيدة الباطنية التى هى عقيدة الدولة الفاطمية ، فإن هذه الدولة لا تنحدر ، إلا « روحيا » ، من الإمام محمد ابن إسماعيل ، الذى حول إلى المذهب الإسماعيلى سلفها عبدالله ابن ميمون القداح ، المتوفى فى سجنه بالكوفة نحو ٢١٠ هـ (١٩) . وقد اكتسب ميمون هذا ، بانضمامه إلى المذهب الإسماعيلى ، نوعا من الإلهام ، أقصد : وعيا غير تابع من ذاته بأسرار الكون ، كان ينقله وهو لا يزال على الأرض ، إلى الحياة الآخرة ، التى يؤكد القرامطة أن نعيمها من نوع عقلى خالص غير محسوس . ومن هنا تلك العنجهية التى تميز هؤلاء ، والتى لا أتردد فى أن أربط بينها وبين العنجهية التى أجمع النقاد على شجبها فى المتنبي . وإذا كانت هذه العنجهية قد طعمت فى البداية بالعنجهية السلالية العربية ، وإذا كانت قد اختلطت عنده بمبالغة الفنان ، فإنها فى أعماقها تشى بيقين غير تابع من ذاته ، يقين مذهبى ، هو يقين الشخص اللا أدنى ، الناتج من المعرفة الممزوجة بالمرارة والتعالى لدى المتحول الذى لقن أن الأديان نسبية ، وهذه آخر درجة فى القرمطية ، مما لم ينسه المتنبي قط ، كما سنرى بعد قليل .

cf notre "Salman Pāk" (N° 7 des "Etudes Iranien- (١٨) nes", Paris, 1933, p. 19, n. 4).

(١٩) قارن « الكشف » للجوبرى (مخطوط بياريس تحت رقم / arabe 4640) / ورقة ١٠ بـ

H.F. Hamdan, ap. DI. XX, 293, 296.

وإلى جانب المبالغات التقليدية (أقصد الاتهام بممارسة السيمياء ، أى استغلال العوام بالخدع اليدوية اليمينية ، التي تسمح بالتحكم فى سقوط المطر ، وترويض الناقة الصعبة ... إلخ) ، فإن الطاعن الموجهة للمقنبي تشير بقوة إلى قرمطيته : إن ادعائه أولا أنه طوى ، أى القائم « الذى سيملا الأرض عدلا » ، ثم بعد ذلك أنه « نبي مرسل » مزود بقرآن جديد ، يعنى أن المقنبي ككل « السينية » أو « السلمانية » ، كان يرى ويدعى لنفسه الحق فى ضم المتحولين الجدد عن طريق روح النبوة ، مما يلغى فى نفس الوقت الامتياز الوراثى للعلوين ، والمكانة السامية الخاصة بمحمد بوصفه متلقى الوحي القرآنى (٣٠) .

وبما أن المقنبي ، فى الواقع ، لم يخرج من السجن (٣٧ هـ) إلا بعد أن استتيب كتابة ، ومن هنا تحرزه بالنسبة للموضوعات الدينية فى جميع أشعاره (بل إنه أيضا لم يذكر عليها (٣١) ، طى عكس أبى فراس (٣٢) ، وهو ما لأمه عليه

(٢٠) قارن البديعى (مطبوع على هامش المعبرى) / ٢٦ ، ٢٤ ، والمعبرى ٢٠٧/٢ ، و « الوساطة » ، / ٤١٢ بكتابتنا "Passion d'al Hallaj" ٥٧ ، ٧٢ . وفى « السينية » انظر كتابنا "Salman Pffik" / ١٩ - ٢٦ . وفى فريسة مسبقة ، انظر "Passion" / ٢٥٩/٢٥ .

(٢١) الوساطة / ٤١٤ .

(٢٢) ديوان أبى فراس (ط / ١٣١٧ هـ) / ٤٥ .

حماته الحمدانيون ، وهم من الشيعة المحلفطين المتعصبين) ،
 فإن بعض أشعاره هنا وهناك تفضح القرمطي القديم . وإن
 العلو المفرط الذي كان ينساق إليه من تلقاء نفسه في تمجيد
 أى مدوح له ليذكرنا بالتهكم اللاذع للرسالة الهجائية المسماة
 "de tribus impostoribus" (٣) ، وكذلك هذه
 السخرية بالإسلام : « لبرئت حينئذ من الإسلام » ، وحواء :

لو لم تكن من ذا الوري اللذ منك هو
 عقلت بمولد نسلها حواء

والمهدى ، وموسى (٢٤) ، وعيسى :

لو كان صادف رأس عازر سيفه
 في يوم معركة لأعيا عيسى (٢٥)

وهذا البيت الأخير يكشف عن قرمطيته القديمة ، فإن
 السنن بل حتى الشيعة المعادي ليجهلان اسم عازر . والقرامطة

(٢٣) الديوان / ١٢٣ . وعن الأصل القرمطي لهذه الرسالة
 الشهيرة التي ظهرت في القرون الوسطى ، انظر :

BHR. Paris, 1920

(٢٤) الديوان / ٣٦٠ ، والعكبري / ١٨٤/٢ ، والديوان /
 ٣٥٧ ، والعكبري / ٢٦٩/١ ، و « الوساطة » ، ٨٢ ، والديوان /
 ٤٧ .

(٢٥) الديوان / ٤٧ ، والعكبري / ٣٦١/١

وهدم هم الذين أخذوه ليسندوا إليه دورا في عقائدهم .
(انظر كتاب التعاليم الدرزية ٨٧) .

وقد تحدث المتنبي في ثلاث قصائد عن قرامطة البحرين :
وفي الأولى ، وهي تتحدث عن مذبحة الحجيج ، التي نشرت
الفرع في أرجاء العالم الإسلامي ، نلاحظ اعتدال لهجة اللوم ،
واستخدام المصطلحات الدقيقة (مثل كلمة « شيخ » لزعيمهم ،
وكذلك الوصف الدقيق لمقيدة « النواهل » التي استبدلت
بـ « الفرائض ») . وفي الثانية يبدو أنه يثنى على شجاعتهم .
أما الثالثة ، التي يتحدث فيها عن القائد الذي هزمهم ، فهي
شديدة الإيجاز (٣٦) .

بل إن المعجم الشعري للمتنبي يهتوى ، رغم تراكيبه
التقليدية الجميلة ، على بعض العبارات الشائعة عند
الإسماعيليين : اثنتان منها من إخوان الصفا (وهما : « قدس
الله روحه » ، و « الظك الدوار ») (٣٧) ، ولغظة « الثقلان »
(القرآن والحقيرة ، وليس الجن والإنس) (٣٨) ، وربما ثلاث

(٢٦) الديوان / ٣٠ ، ١٨٤ ، ٣٥٧ (وقسارن بالديوان /
٤٤٠) .

(٢٧) البديعي / ١٦٩/١ - ١٧٠ ، والمعبرى / ٤٤١/٢ .

(٢٨) الديوان / ٤١ ، والمعبرى / ١٢٠/١ ، وذلك حديث
« الثقلين » المشهور « الينابيع » للقدوزي .

أو أربع أخرى (٣١) ، وهو جانب لم يلتفت إليه شراح الديوان ، رغم ما فيه من جديد لمن يبحث ويكتشف . وعلى هذا فعندما يصرح المتنبى (٣٢) بأنه لا ينبغي أن توضع الشمس (وهي مؤنثة) في مرتبة أدنى من الهلال (وهو مذكر) ، فإنه يسترجع الخلاف القديم بين شيعة الكوفة حول أفضلية (الميم) (التي ترمز إلى محمد ، وهو الشمس) أو « العين » (التي ترمز إلى علي ، وهو القمر) (٣٣) ، بهدف حسمه لصالح التفسير الذي تقدمه « ميمات القرامطة » . وفي علم الفلك الشيعي فإن

(٢٩) كلمة « المهدي » (الديوان / ٤٥٦) ومرادفها : « القائم » (الديوان / ٣٥٧) و « الخلف » (الديوان / ٤٢٤) ، ومصطلح « البداء » (وهو ، في العقيدة الشيعية ، رجوع الله في مشيئته [الانتصار ، للخياط / ٦ ، و « الغيبة » لابن باهويه / ٤١ ، ٦٣ ، و « المقالات » للأشعري / ٣٩ ، ٤٧٨ ، ٤٩١ - ٤٩٢ ، و « الفرق » للنوبختي / ٥٥ ، ٥٩ ، ٦٢ ، والشهرستاني / ١٩٧١ - ١٩٨] - الديوان / ١٠٥ ، والمكبري / ٢ / ٣٤٤) ، و « الخميس » : الجيش (الديوان / ٤٥ ، ٢٤٦ ، ٣٥٦ ، وديوان أبي فراس / ١٤٦ [فرقة الخميس « أي الحرس الإمبراطوري لحلي » انظر « النهج » للاستراباذي / ٤١٨]) ، و « هتقاء مغرب » (الديوان / ٣٩٩) ، و « كوفان » (الديوان / ٢٥٧ ، بدلا من « الكوفة » ، و « كوفان » هو اسمها في « ملحمة سلمان » ، و « صيف » و « سمال » بالف (الديوان / ١٠١) ، وهو ما يسمح ، بحساب الجفر ، بوضع المعادلة الآتية : م + ل + م + ا + ل = م + ل + م + ١ + ن = ١٨١ . انظر كتابنا "Salmàn Pāk" Hallāj, ap. Passion, 97 انظر ٢٥/٤٣ ، وعبارة « جاء نيروزنا » ، انظر (الديوان / ٤٤٧) .

(٣٠) الديوان / ٢٢١ ، والمكبري / ٢٧/٢ .
cf. Salmàn Pāk, 36 (٣١)

« الشمس » تعنى « محمداً » ، و « القمر » عليا ، و « الزهراء »
فاطمة ، و « الفرقدين » الحسن والحسين (٣٢) .

وأخيراً فإن دعاءه ، فى أوائل حياته الشعرية ، الذى يقول
فيه : « أيا خدد الله ورد الخدود » (٣٣) ، يذكرنا باسم من
أسماء الله غير مألوف ، إذ لا يوجد إلا فى « الخطبة
الطنجية » (٣٤) المعروفة لغلاة الشيعة ، وهو « مخدد
الأخدود » .

(٣٢) على بن الوليد / دافع الباطل (وهو رد على الغزالى) /
٥٠٥/١١ وما بعدها .

(٣٣) الديوان / ٤٢ .

(٣٤) مخطوط Paris 5118 f. 94 . وهذه الخطبة
سابقة على سنة ٣٠٠ ، إذ قد اتهم الصولى الحلاج بسرقة عبارة
أخرى منها ، ونصها : « أنا مهلك عاد وثمود » ، / عريب / ٩١ .

٢ - الثقافة الحضرية في الدولة الحمدانية

بالشام

لقد اجتذبت المتنبي صداقاته البدوية (والقرمطية) حتى أوصلته إلى الأوساط الحضرية الشامية ، وهي علاوة على ذلك مدن ظل الشيعة فيها أغلبية حتى عصر الحملات الصليبية ، مثل اللاذقية وأنطاكية وحلب وطبرية (٣٥) . وقد كان من الطبيعي ، بعد خروجه من السجن مستسلما للهدوء وعدم العودة إلى الثورة ، أن يتحمل بأولئك الشيعة المحافظين الذين تتوافق آمالهم المخرقة في المثالية في تولى الطويلين الحكم مع مرتباتهم الطائلة وخدمتهم لدولة بني العباس السنية . ومن ناحية أخرى فقد كان هؤلاء الأدباء والأمراء واسمى الثقافة ، مولعين بالعلوم الهلينية ، والمنطق منها بخاصة . (سوف يستقبل الفارابي في هذه البيئة استقبالا حسنا) .

والذي يثبت لنا أن المتنبي قد أقام في هذه الدوائر الأدبية منذ ٣٢٨ هـ (في طبرية) وبخاصة بعد عام ٣٣٧ هـ (في أنطاكية وحلب وفي إقطاعه في معرة النعمان) ، لا عن تشابه عميق في الآراء بل ضرورة حياة ، هو أن أفقه الفكري لم يتسع بشكل

(٣٥) ابن حزم / الديوان / ١٨٨ ، و إ. ج. الطويل / تاريخ العلويين (في أكثر من موضع) .

محسوس ، وأنه لم يتوافق قط مع هذه البيئة • وبالنسبة للصراع بين النحو التقليدي وبين علماء المنطق على الطريقة الإغريقية ، فقد ظل المتنبي نحوياً يتبع المدرسة الكوفية (٣٦) • صحيح أنه حاول ذكر أبقراط (في قوله : فصاد الأكل) (٣٧) ، وجالينوس (٣٨) ، وأنه افتتح إحدى قصائده ببيت حسابي شديد الغرابة (٣٩) • بيد أن هذه المحاولات تثبت أن الأمر لا يعدو أن يكون ميلاً ضميماً إلى هذا اللون من الثقافة • وقد أولى الحاتمي الأمر من الاهتمام أكثر جداً مما يستحق حين حاول أن يقارن بعض أبيات المتنبي الحكيمة بالحكم المنسوب لأرسطو عبارة عبارة ، وذلك لإثبات الصلة بين الاثنين (٤٠) •

إن حكم المتنبي لا تنتمي إلى الفلسفة الهلينية ، فإنه لم يحاول تعلمها في البلاط الحمداني • لقد كان ضعيف الذوق لما عليه هذه الحياة الراقية من سعة وانطلاق بعبوبها وانتشارها •

-
- (٣٦) العكبري / ٢٢١/١ ، و ٢٨٠/٢ •
 (٣٧) الديوان / ١٠٨ ، و « الوساطة » / ٣٥٦ •
 (٣٨) الديوان / ٦٤ ، ٤٧٦ • وكذلك « بطليموس » (الديوان / ٤٤٧) •
 (٣٩) « أحاد أم سداس » (الديوان / ٦٨ ، و « الوساطة » / ٧٨ ، ٨٤ ، والعكبري / ٢١٨/٢) ، حيث يشير (١ + ٦ = ٧) ، فيما يبدو لي ، إلى « سبع » كواكب « الدب الأكبر » المذكور في البيت التالي من القصيدة (* يقصد « بنات نعش » - المترجم) •
 (٤٠) « الرسالة الحاتمية » لابن مظهر (ط • الجوانب / ١٣٠٢ هـ ap. التحفة XI) •

لو إذا كان حرمه الشديد الحساسية على استقلاله قد أبى عليه السجود للامير فإنه لم ير في الحروب الكبيرة ضد الروم إلا مجرد وقائع عارضة وغارات للنهب ومبارزات لمردية . وإذا كان قد تجاهل علماء البلاط فإنه لم يرض قط لنفسه دور التابع المستأنس ، بل كان يقطع على الفور علاقته بالملوك (٤١) . ولقد تسبب في أن تنتهي حياته بالقتل من أجل قصيدة هجائية ، بالضبط كأي شاعر جاهلي . ولقد أصبح ، مع ذلك ، ممكنا من خلال غربة أسماء ممدوحيه غربة شاملة ، أن نحصل على بعض الفتايج ، وذلك بفضل أميدوز ، ومرجليوث ، ومتسك ، و هيورث دون ، الذين نشروا لنا عددا من مجاميع الدراسات التاريخية الخاصة بتلك الحقبة ، مزودة بتراجم مسجبة للأعلام . وغيا أعلن لقد كان كل ممدوحى المتنبي تقريبا من الشيعة ، اللهم إلا قاضيا مالكيًا ، وكاتبًا ثريا شديد الغربة ، وأظنه مقعزليا ، هو هارون الأوراجي ، الذي كان ما كتبه ضد الحلاج سببا في محاكمته وقلته (٤٢) . غلا ممدوح أشعري أو حنبلي . (لم تكن لهم في ذلك الحق أهمية تذكر) .

(٤١) درس *Muall* خط المسير الذي اتبعه في قراره من مصر إلى العراق من العمويين إلى الرهيمية والكوفة (الديوان / ٤٢٥) 528 — 522 *ap. Arabia deserta* ، وانظر الديوان / ٤٢٠ .

(٤٢) الديوان / ١٠٢ ، ١٠٦ (*cf. Passion*, 240) ، صاحب الوصف للشمير لكتب سلواني بطارده غزالا ، وهو ما فضل المتنبي أن ينظم فيه شعرا دون أن يرى شيئا من مشهد المطاردة ، مما لا يزال يعد لرواها في المقالة .

وفي مثل هذا الوسط عاش المتنبي بعيدا عن الشام ، إذ
 وجم في القاهرة (**) ، عند كافور ، الوزير ابن الفرات (وهو
 قرمطي في السر) ، وفي العراق الوزير المهلبى (***) ، وأخيرا في
 فارس في آخر سنتين من عمره (٣٥٣ - ٣٥٤ هـ) بعض الوزراء
 البويهيين الآخرين . ولنلاحظ أنه قد زار في شمال شيراز شعب
 بوان الساحر ، الذي لمحتبه عن بعيد وأنا في الطريق إلى
 بيزا (٤٣) . وقد رأى أيضا في الجنوب وادى « دراشتة
 أرجان » (٤٤) (وادى اللوز) ، المشهور عند الشيعة بأنه موطن
 سلمان الفارسي .

ولنعد الآن إلى المعجم الشعري للمتنبي من الناحية

(**) هذا سهو من الكاتب ، فإن القاهرة لما تكن قد وجدت .
 والصواب ، كما لا يخفى ، هو « الفسطاط » - المترجم .
 (***) المعروف أن المتنبي لم يتصل بالوزير المهلبى ، الذى
 كان يتمنى لو مدحه الشاعر الكبير ، ولكن هذا رفض ، مما أحنق
 الوزير وجعله يغرى به بعض الشعراء السليطي اللسان ، إلى جانب
 الحاتمى ، الذى ألف فيه وفي شعره « الرسالة الموضحة » وانتقده
 فيها انتقادا شديدا إرضاء للمهلبى من جهة ، وشفاء لما وجد فى نفسه
 من عدم إحسان المتنبي استقباله من جهة أخرى - المترجم .
 (٤٢) مسقط رأس الحلاج . وفى قصيدة المتنبي (الديوان /
 ٤٦١) ملاحظة بصرية بارعة تتعلق بالشكل المستدير لأضواء الشمس
 المتسللة من خلال أوراق الأغصان على الأرض (على شكل الهلال
 أثناء خسوفه) .

(٤٤) الديوان / ٤٨٠ ، ٤٧٨ ، والمكبرى / ٢/ ٢٢٣ . وانظر
 "Salmàn Pāk" / ٤٨/ ١٠ ، وفى أسطورة أمد أرجان
 (طبرسى نوري / نفس الرحمن / ٢٨) التى انتقلت معه ذلك من
 سلمان إلى الحلاج (Passion 418)

الثقافية • إن الصياغة التي تمر بها مادة الصور الشعرية عنده
تعكس تأثير من سبقه من القرامطة • لقد رفض شاعر البلاط
هذا أن يتغنى بالخمير ، كما أنه لم يصف جمال المرأة الجسدي ،
ولم يخرج ، لجمل ألوان التمهك لاذعة ، عن نطاق الافتخار
غير الصادق بالمعة مع ادعاء التسامى الأفلاطوني (٤٥) •
صحيح أنه ، من أجل القيام بواجبه ، كان ينوع المبالغات
المدحية ، ولكن ما كان يقدمه ، أولا وقبل كل شيء ، لسامعيه
إنما هو عرض لفكره هو • وهو فكر صاف ، في حالة ثورة عنيفة
ضد الظروف البشرية ، بل أيضا ضد ثقل المادة البسيط ، وكذلك
ضد ما سماه « اخوان الصفا » بالحكام السبعة : السماء ، التي
تقلب الليل والنهار ، والفصول ، والطبيعة ، التي تبثلينا بالحر
والبرد والرغبة والندم ، والقانون الذي إما أن يخضعك للنظام
والتقاليد أو يجازيك بالعقاب ، والدولة بإداراتها المختلفة
واستعبادها للمواطنين ، وضرورات الطعام والشراب والملبس
والمسكن ، وأداء العمل من طريق الآلة (٤٦) :

نحن بنو الموتى (٤٧)



(٤٥) وعلى الحكمى من ذلك أبو نواس (زهديات - مجون)
ولنلاحظ استعماله لكلمة « عقل » ، (عقول - مهج : الديوان / ٤١ ،
٣٤٧ ، ٤٨٩)

(٤٦) (اخوان الصفا ط • بومباي) ٩١/٩٠/٢
(٤٧) « للموساطة » ، ١٢٢ • وانظر للديوان / ٤٧٦

فلا تقنع بما دون النجوم (٢٨)

* * *

وبالموت في الحرب ينفى الخلودا (٢٩)

* * *

ذو العقل يشقى في النعيم بعقله (٣٠)

* * *

أجد الحزن فيك حفظا وعقلا (٣١)

* * *

حتام نحن نساوي النجم في الظلم ؟

وما سراه على خف ولا قدم (٣٢)

* * *

نسيم التعلل ؟ لا أهل ولا وطن

ولا نديم ولا كأس ولا سكن (٣٣)

وهو لا يتحدث عن الحب إلا بوصفه قييدا مفروضا ، أو
سقاما مخامرا للعقل ، ويحاول هو اكتناه أسراره لإثبات أنه في
الحقيقة لا شيء :

(٤٨) الديوان / ١٩٣ (وانظر الديوان / ٤١٢) / هـ ٤ .

(٤٩) الديوان / ١٠٠ .

(٥٠) الديوان / ٤٨٩ (وانظر بعد ذلك بثلاثة أبيات) .

(٥١) الديوان / ٣٢٩ .

(٥٢) الديوان / ٤٢٢ ، والمكبري / ٢ / ٣٨ .

(٥٣) الديوان / ٤٠١ .

لهوى النفوس سريرة لا تعلم
عرضاً نظرت، وظلت أنى أسلم (٥٤)

* * *

وأحلى الهوى ما شك في الوصل ربه
وفي الهجر ، فهو الدهر يزجو ويتقى (٥٥)

ويسمى المتنبي هذا الاتجاه القتالى العنيف عنده
بـ « الفتوة » (٥٦) ، هذه الكلمة ذات النكمة الشيعية الغالية ،
إذ كانت كلمة « الفتى » في القرن الثانى الهجرى تعنى المتأمر
الشيعى الذى حمل روحه على كفه بنبل وجسارة (٥٧) .

وبعد موت المتنبي بخمسين عاماً أصبحت هذه الكلمة تدل
على شرف الجماعة أو الحرفة التى ينتسب إليها الفرد ، تستوى
في ذلك عصابات قطاع الطريق والجماعات الحرفية (٥٨) . أما
عند المتنبي فالفتوة هى شرف الإنسان الذى لا يعاب بشيء غير
العقل ، بكل نزواته وتقلباته ، والذى لا يبالي بخطر الموت .

-
- (٥٤) الديوان / ٤٨٨ ، والحامى / ١٥٢ .
(٥٥) الديوان / ٢٨٥ . وانظر الحلاج / الديوان / ٦٠ .
(٥٦) الديوان / ٤٣٦ ، ١٥٥ ، والمكبرى / III ، والمكبرى /
Recueil, 87 و ٤٤٣/٢ .
(٥٧) الكاشى / معرفة أخبار الرجال / ٨٢ ،
(cf. B. Farès, L'honneur chez les arabes, add.)
وانظر ديوان المتنبي / ٤٢٥ ، حيث يعضو الشاعر من « فكهوى
الجريح إلى الغربان والرخم » ،
Encyclopédie de l'Islam, s.v. Suf (٥٨)

ونفس الشيء عند القرامطة ، الذين يقول عنهم أبو الحسين
ملطى ، المتخصص في دراسة البدع ، إنهم في الحرب لا يولون
الأدبار بل يلقون بأنفسهم في غمرات الموت ، وإنهم يرون أن
ثمة حياة بعد الموت ، ويقولون « إن أرواحنا تتخلص من أدران
الجسد وشهواته ، فنمود من ثمة إلى النور » (٥٩) .

(٥٩) أبو الحسن ملطى (377/987) / التنبيه /
مخطوط / ص ٢٧ (cf. Recueil, 218)

٢ - خاتمة

لقد نشأت الملاحظات السابقة من التأملات التي أوجت بها قصائد المتنبي قليلا ، تلك القصائد التي تتمتع بالتأكيد بشهرة ضخمة في كل أرجاء العالم العربي ، والتي جعلني صديقي الحاج علي الألوسي ، الذي ندين له بطريقة غير مباشرة بطبع كتاب الجرجاني عن المتنبي (٦٠) ، أشعر بمدى مغالبتها للزمن (٦١) . وكان ذلك قبل بضع سنين ، أثناء رحلة دراسية ريفية في بادية السماوة .

وبدون الادعاء مطلقا بأنني أرغب في أن أتذوق ، في المتنبي الموسيقار الشعري البارع ، فإنني أُلح أن تحريره للفظ الغريب ليس راجعا إلى الاهتمام المبثذل بالقوامي الغنية (****) يقصد به البناء الداخلي للبيت الشعري . وبالتسبة لي فإنني لا أتوقف ،

(٦٠) وهي النسخة التي اعطانيها من كتاب « الوساطة » ، والتي حققها وطبعها الأستاذ حارف الزين في ١٩١٢ .
(٦١) من « حشاشة نفس » ، (الديوان / ٢٢) ، إلى « كفى بك داء » ، (الديوان / ٣٧٣) ، وذلك من غير التعرض على الإطلاق لما نحصل عليه من « الأنواع الحافظة » ، أو « الفرجيلية » ، (****) القافية الغنية (rime riche) : هي القافية التي لا يتوافق فيها حرف الروي فقط ، بل حروف أخرى مع حرف الروي ، وربما كان أقرب مصطلح لها في الشعر العربي هو « لزوم ما لا يلزم » - المترجم .

في أية قصيدة ، إلا عند بعض أبيات منعزلة ، وذلك من أجل التأمل . وهي بوجه عام أبيات المقدمة ، التي تشبه نغمات مطلع سيمفوني جليل ، حيث ترسم يد الفنان دائماً نفس حركة الفكر الحاسمة . إن المتنبي يدفع التوازي السامي القديم إلى أقصى حدود الإيجاز والبلاغة ، وهو ما يحمله طابع أصوله القرمطية ، طابع السيادة التي يفتط لهما المرارة والتعالي والمفاجأة المتعمدة ، وذلك من طريق تناهر الكلمات (٦٦) ، الذي ، بفضل صنعة في التوليف والمطابقة محكمة ، يصادم فكرتين متعارضتين ، فكرتين لا حوريتين ، وذلك منذ الشطرة الأولى أحياناً :

باد هواك صبرت أم لم تصبروا



نوى عظما بالهوى والصد أحظم

ونتعم الواشين والدمع منهمو (٦٧)



لعينيك ما يلقي الفتوة وما للعي

والحب ملهم يبق مني وما بقي (٦٨)

(٦٧) قهبران / ٢٩٦ .

(٦٨) قهبران / ٩٢ ، والمكبري / ٢٢٠ .

(٦٩) قهبران / ٢٨٥ .

وهذه المقدمة أقدمها للمقارنة ، من حيث الإيقاع ،
بقصيدة (١٥) "Mère des souvenirs" لبودليز :

اثلث ، فإنها أيها الطفل
نبكى ، وترزم تحتنا الإبل (١٦)
وفي النهاية أشير إلى رائعته : « لك يا منازل » (١٧) ،
التي يقول فيها :

لك يا منازل في القلوب منازل
أقفرت أنت وهن منك أوامل

يعلمن ذاك وما علمت ، وإنما
أولاكما يبكى عليه العاقل

إن باسكال ، في إحدى خواطره (١٨) ، يؤكد عكس هذه
الذكرة ، فهو يقول : « إنه لا شقاء بدون شعور ، فالمنزل الخرب
لا يشقى . وإن الإنسان وحده هو الذى يشعر بالشقاء » .

(٦٥) البيت قبل الأخير (الديوان / ٢٢) هو أيضا يشبه
شعر بودليز إلى حد كبير .
(٦٦) الديوان / ٤٦٥ .
(٦٧) الديوان / ١٤٦ . وانظر

Passion, 619; Syria, 1921, et II, p. 171 sq.

ويرى الجرجاني (الوساطة / ٢٨٨) أنه مأخوذ من بيت
أبى تمام ، ولكن الملاحظ أن بيت أبى تمام يتقصر حتى رسم حركة
الفكرة التي تهمننا .

Pascal, Pensées, N° 399 de l'éd. Brunschvicg (٦٨)

إن التضاد بين باسكال والمتنبى يكمن في أن باسكال النصراني يؤمن بالاصطفاء الإلهي المقصور على بعض الكائنات التي تحل بها النعمة الإلهية فتتغير هيئتها ، على حين أن المتنبى يرفض أن يسلم لأى كائن بأى امتياز استثنائى (٦٩) • وفضلا عن ذلك فقد كان المتنبى قهرمظيا • وعنده أن الوجود ليس إلا نقابا خداعا يحجب عن نفسه الفكر السليم (٧٠) • ولكن بقية من إنسانية تدفعه إلى البكاء أمام هذه الأحجار ، البكاء على خلوها من كل فكر ، البكاء على هذا النقص ، على هذا العدم ، الذى هو أسوأ من عذاب الجحيم ذاته •

(٦٩) إما كل المخلوقات (ابن عربى) ، وإما لا أحد ، إذا كان الأمر يتعلق بمظهر للتجلي الإلهى •
 (٧٠) عند الخطابية (على حسب ما يقول النصيريون) أن لكل شئ ، حتى الجمادات ، نفسا ، وأن حجر عتبة فى حمأة كان امرأة آثمة انقلبت حجرا ، مقابا وتمذينا لها • لكن هند الدروز ، ليست المادة إلا شبح العدم ، ولا يوجد إلا نفس واحدة كونية ، هى ، العقل ، •

دراسة المترجم لبحث

لويس ماسينيون (☆)

منذ أن اشتهر المتنبي حتى العصر الحديث ، أى على مدى عشرة قرون تقريبا ، لم يقل أحد ، سواء من معاصريه أو ممن جاءوا بعده ، بل لم يشر مجرد إشارة ، ولو من بعيد ، إلى أن الشاعر كان قرمطيا أو إسماعيليا . لقد اتهم المتنبي بأنه ادعى الانتساب إلى العلوية أو زعم النبوة أو خرج على السلطان . أما القرمطية أو الإسماعيلية فلم يقل بها أحد كئنا من كان . وظل الحال هكذا حتى طلع علينا بلاشير بأن الشاعر كانت له علاقة بالقرمطية . ثم أتى في أعقاب ماسينيون غزاد في الطنبور نغمة ، إذ قال إن المتنبي كان قرمطيا .

وبادى ذى بدء أحب أن أؤكد أنه لو كان المتنبي قرمطيا ما خفى ذلك على القدماء وبخاصة معاصروه ، فقد كان القرامطة معروفين للناس العاديين بله للكتاب والمؤرخين ، وكان نشاطهم هو موقفنا لولا أن من بين المستشرقين من يحب أن يطلع علينا

(*) من يريد أن يطلع على بعض خفايا الدور الذى قام به هذا المستشرق للتمكين للاستعمار الفرنسى في بلاد المسلمين عن طريق الاتصالات المريبة وتوزيع الاموال السرية ، يمكنه ان يرجع إلى ما كتبه الصحفى اللبنانى النصرانى ، إسكندر الرياشى في كتابه « رؤساء لبنان كما عرفتهم » (ص ٢١١ / ٢٥٤) ، أقول هذا حتى نعرف حقيقة ذلك الرجل ، ولا نحسن الظن بأحكامه المتهافة البسادية السخف .

من حين لآخر بالنظرية العجيبة تلو النظرية ، وكل دليله لفظة هنا وأخرى هناك يمتلخهما من سياقهما ويحملها بما لا تحتملان ظاهرا للعيان ، بل اضطلت به المجتمعات الإسلامية في الشام والعراق واكتوت بناره مرارا عدة • وكان ينبغي أن يظل هذا من المعانى والدلالات • وهو في أثناء ذلك كله يعتسف الشبهات اعتسافا ، غير مبال بمنطق أو تاريخ •

ومن هذا الصنف من المستشرقين المستشرق الفرنسي لويس ماسينيون ، الذى ادعى فى بحثه المنشور فى هذا الكتاب أن المتنبي كان إسماعيليا قرمطيا • والحقيقة أننى رغم تفنيدي لهذه الدعوى من قبل (١) قد عدت فرددت انظر مرارا فى هذا البحث ، لعلنى أن أقع فيه على ما قد يجعلنى أغير رأىى ، غير أننى لم أجد شيئا من هذا ، بل على العكس زدت اقتناعا بسلامة موقفى من هذه الدعوى ، وهشاشة نظرية ماسينيون •

وتدور اعتراضاتى على هذه النظرية الماسينيونية على محورين : الأول تاريخى ، والثانى نصوصى • فأما الناحية التاريخية فإننى أطرح الأسئلة الآتية :

ترى لو كان المتنبي إسماعيليا أو قرمطيا فلماذا لم يذكر ذلك أحد من معاصريه ؟ لقد كان للمتنبي أعداء كثيرون وحساد

(١) انظر كتابى / المتنبي - دراسة جديد لحياته وشخصيته / ٢٠٠-٢١٧ • وانظر أيضا كتابى « لغة المتنبي - دراسة تحليلية » / ٢٨٦ وما بعدها •

أكثر • ولو قد شام أحد من هؤلاء أن الشاعر قرمطى أو إسماعيلى لشنع عليه ، وفضحه على رؤوس الأشهاد • لقد رأينا بعضهم يهجوهم بأن أباه كان سقاء ، وبعضا آخر يحاول أن يسيء إليه بنكس تهمة التنبؤ التى ألصقت به ، ولكننا لم نسمع قط أن أحدا من هؤلاء أو من غيرهم قد أشار أو ألمح إلى أنه كان قرمطيا أو إسماعيليا • وإذا افترضنا أنه ربما كان من الصعب على أعدائه أن يعرفوا عنه شيئا من هذا الجانب لأنه كان حريصا على إخفائه ، فكيف لم يعرف ذلك عنه أحد من أصدقائه أو محبيه ، كابن جنى مثلا ، أو ابن رشدين المصرى ، أو على ابن حمزة ، الذى نزل المتنبى عنده فى بغداد بعد فراره من مصر ، والذى نسب إليه أنه قال إن المتنبى ما صلى ولا صام ولا قرأ القرآن (وإن كان قد مدحه أيضا بثلاث خلال : أنه لم يكذب ولم يزن ولم يلط) (٢) ، أو الناشئ الأصغر ، وهو كوفى مثله ، وكان يعرف المتنبى وهو لا يزال صبيا ، إذ كان يملئ قصائده فى المسجد الجامع بالكوفة وكان شاعرنا (وكان صبيا آنذاك) يكتبها مع الكاتبين ، ثم تقابلا بعد ذلك فى مصر • فلو أن الناشئ سمع مجرد سماع أن المتنبى قرمطى أو أنه كان قرمطيا أو حتى له علاقة ، أى علاقة ، بالقرامطة ، فلم لم يتقرب

(٢) انظر كتابى « المتنبى - دراسة جديد لحياته وشخصيته / ١٩٨ - ١٩٩ ، وكذلك ترجمة ابن العديم للشاعر فى السفر الثانى من كتاب « المتنبى ، لمحمود شاكر / ٢٩٦ / والصبح المنبى / البديعى / ٩٤ •

إلى كافور ورجال حاشيته بإفشاء سر الشاعر المتكبر الذى اثار على نفسه هناك ، كمادته أينما حل ، العداوات المرة ؟ ثم هناك روايته محمد بن أحمد بن محمد المغربى أبو الحسن ، وكان أحد الأئمة الأدباء والأهيان الشعراء (٢) . أيعقل أن يكون سيده قرمطيا ثم لا تصل إلى أسماعه ، من سيده نفسه أو من غيره ممن يحبونه أو يبغضونه ، كلمة عن قرمطيته ، ولو كانت مجرد فاشعة من الفاشعات ؟

إذا كان المتنبى قرمطيا أو إسماعيليا فكيف لم يمدح أحدا من زعمائهم أو دعائهم أو حتى أى رجل عادى من بينهم ؟ وأمامك ديوان المتنبى ، فتصفحه على مهلك كما تحب ، فلن تجد فيه مدحا لأى إسماعيلى أو قرمطى . قد يقول بعض الباحثين إن المتنبى قد أسقط من ديوانه شعرا كثيرا (٣) . غير أن قائلى هذا ينسون بعض الحقائق الهامة التى لو استحضروها أمام أعينهم لرجعوا من غورهم عن قولهم هذا . فمثلا ، هل إذا حذف المتنبى بعض شعره من ديوانه يكون قد تخلص من هذا الشعر غير المرغوب فيه ؟ كلا بالطبع ، لأن المتنبى لم يكن يكتب الشعر لنفسه ويحتفظ به لا يطلع عليه أحدا غيره ، بل كان ينشده فى المحافل والاجتماعات ، فهل محاه أيضا من آذان من

(٢) انظر « الصبح النبى » للبديعى / ٢٦٩ / ٣ هـ .

(٤) انظر مناقشتنا لهذه الدعوى الغريبة فى كتابى « المتنبى -

دراسة جديدة لحياته وشخصيته » ، / ١١٩ - ١٢٠ .

سمعوه وأذهانهم ، أم ماذا ؟ وأيضا ، لماذا يحذف المتنبي مثل شعره هذا وهو لم يحذف تهديداته المتكررة في صباه للملوك وشتائمهم ولأهل زمانه جميعا ؟ ولماذا لم يحذف قصيدته في أبي الفضل ، وهي قصيدة مضطربة الأفكار والتصورات ، واتهم بسببها بالضلال والزيف من العقيدة من قبل بعض من كتبوا عنه (٥) ؟ ولماذا لم يحذف قصيدته العارية الجارحة التي هجا بها ضبة ؟ وحتى لو قيل إنه قد حذف ذلك كله ، لكن الرواة قد أعادوا إثباته ثانية في الديوان ، فإن هذا الرد يؤكد ما أقوله من أنه لم يكن بمقدور المتنبي ، لو كان قد مدح أحد الإسماعيليين أو القرامطة ، أن يحذف هذا المدح . إن من المؤكد الذي لا يقبل عندى أى قدر من الشك مهما ضؤل أن المتنبي لو كان قد فعل ذلك لاحتفظت لنا به كتب الإسماعيليين • التي ابتدأت تظهر من مكانها في العصر الحديث وتنتشر للجمهور • فأين مثل تلك المدائح ، أين ؟ ولم نلم يدلنا على شيء من ذلك ماسينيون أو غيره ممن يدعون على المتنبي أنه كان قرمطيا أو إسماعيليا ؟ إن المتنبي لو كان قد مدح أحد الإسماعيليين أو القرامطة لاحتفت بذلك كتب القوم وطنظنت به وضربت له الطبول والأبواق •

إن ماسينيون قد أشار (إشارة الموافقة فيما يبدو) إلى

(٥) انظر مثلا المكبرى / ١٦٨/٣٢/٤ ، و... طه حسين /

مع المتنبي / ٤٤ - ٤٥ .

ما ادعاه بلاشير من أن أبا الفضل الذى مدحه المتنبى فى صباه هو أحد الإسماعيليين • ونص كلام ماسينيون هو : « يظن الأستاذ بلاشير أن الذى دعاه وحوله إلى المذهب الإسماعيلى هو شخص اسمه أبو الفضل » (٦) ، ولكن لا بلاشير ولا ماسينيون قد قدم ما يدل على أن أبا الفضل هذا كان إسماعيليا أو قرمطيا ، بله أن يكون هو الذى تحول المتنبى على يديه إلى المذهب الإسماعيلى • إن كل ما يقوله شارحو الديوان فى القصيدة التى مدح بها المتنبى أبا الفضل ذاك هو من هذا القبيل : « قال وهو فى المكتب يمدح رجلا ، وأراد أن يستكشفه عن مذهبه » (٧) أو « وقال يمدح إنسانا ، وأراد أن يستكشفه عن مذهبه ، وهى من قوله فى صباه » (٨) ، وهو ما يدل دلالة قاطعة أن أبا الفضل هذا لم يكن إلا نكرة بين الرجال ، فهو فى عبارة جامع الديوان مجرد « إنسان » ، وهو فى عبارة العكبرى مجرد « رجل » من الرجال • وينبغى ألا ننسى أن المتنبى قد نظم هذه القصيدة وهو صبى صغير فى الكتاب ، أى قبل أن تتسع مداركه لفهم معنى الإسماعيلية ، فضلا عن الاقتناع بها والتحول إليها • « ثم إننا لا نسمع باسم أبى الفضل ثانية لا فى ديوان المتنبى ولا حياته بعد ذلك أبدا » (٩) ، فهل يعقل أن يكون مصير

(٦) انظر هامش / ١٧ فى النص المترجم .

(٧) ديوان المتنبى / ١٥ .

(٨) العكبرى / ٢٧/٤ .

(٩) د . إبراهيم عوض / المتنبى - دراسة جديدة لحياته

وشخصيته / ١٤٦ .

أهم شخص في حياة المتنبي الروحية (بناء على هذه الدعوى) هو الخروج بهذه السرعة من حياة الشاعر وشعره واهتماماته تماماً ؟ ولا يقول أحد : « إنه ربما مات بعد ذلك بقليل » ، وإلا لتساءلنا بدورنا : « أفكان المتنبي يسكت فلا يرثى هذا الذى تحول على يديه هذا التحول الروحي الخطير ؟ » • وعلى كل حال ، فقد خرج كثير من كتب الإسماعيلية من مكانه ، فهل وجد فيها ماسينيون أو غير ماسينيون ما يدل على أن أبا الفضل هذا كان من دعائها أو حتى من رجالها العاديين ؟ (أقصد أبا الفضل الذى مدحه المتنبي ، لا أى « أبى فضل » آخر ، لأنه لا يستبعد أن نعثر من بين الإسماعيليين فى ذلك العصر على أبى فضل أو « آباء فضل » كثيرين لم يمدحهم المتنبي بل لم يعرفهم أصلاً) •

ثم إن القصيدة التى مدح بها المتنبي (وكان صبياً لا يزال يتردد إلى الكتاب) أبا الفضل ذاك بين أيدينا ، ولا أدري ماذا فيها من إسماعيلية (أو قرمطية) • لقد نظم المتنبي هذه القصيدة بغية استجداء شيء من أبى الفضل هذا ، والأبيات العاشر والثانى عشر والثامن عشر والتاسع عشر والعشرون قاطعة الدلالة على هذا ، ونصها (على هذا الترتيب) هو :

يعطيك مبتدئاً فإن أعجلته

أعطاك معتذراً كمن قد أجرما

— — — — —

نصر الفعّال على المطال ، كأنما
خال السّؤال على النّوال محرّما

يا من لجود يديه في أمواله
نقم تمود على اليتامى أنعمّا
حتى يقول الناس : ماذا عاقلا
ويقول بيت المال : ماذا مسلما
إذكار مثلك ترك إذكارى له
إذ لا تريد لما أريد مترجما

ولو كان أبو الفضل هذا إسماعيليا تحول المتنبي على يديه
إلى مذهب الإسماعيلية لاتخذ الكلام اتجاها آخر ، كأن يعرض
المتنبي بعض عقائد هذا المذهب ، وفضل هذا الرجل عليه في إزالة
الغشاوة عن عينيه وهدايته إلى الصراط المستقيم • أما قوله له
في نفس القصيدة :

يا أيها الملك المصفى جوهر
من ذات ذى الملكوت أسمى من سما
نور تظاهر فيك لا هوتية
فتكاد تعلم علم ما لن يعلمّا

أنا مبصر وأظن أنى نائم
من كان يحلم بالإله فأحلمّا

فهو كلام غامض مضطرب ، كما وضعت في دراستي عن
حياة الشاعر وشعره عند تناولي للبيت الأخير (١) . ولا شك أن
المبالغة المقيتة ظاهرة في هذه الأبيات الثلاثة ، بيد أن ديوان
الشاعر يحتوى على كثير من أمثال هذه المبالغات المستحيلة
السخيفة ، من مثل قوله عن نفسه من قصيدة في صباه :

ما مقامى بأرض نخلية إلا
كمقام المسيح بين اليهود

أنا في أمة تداركها الله
له قريب كصالح في ثمود

وقوله يمدح شجاع بن محمد بن أوس بن من بن الرضى
الأزدى وقومه (في صباه أيضا) :

كجبرت حول ديارهم لما بدت
منها الشمس ، ولهم بها الخمر

لم يخلق الرحمن مثلك محمد
أبدا ، وظنى أنه لا يخلق

وقوله يمدح شجاع بن محمد الطائي المنبجى :

(١٠) انظر المرجع السابق / ١٤٥ - ١٤٦ .

إلى سيد لو بشر الله أمة
بغير نبي بشرتنا به الرسل

إلى القايض الأرواح والضعفم الذى
تحدث عن وقفاته الخيل والرجل

وقوله فى محمد بن زريق الطرسوسى :

لو كان ذو القرنين أعمل رأيه
لما أتى الظلمات صرن شموسا

أو كان صادف رأس عازر سيفه
فى يوم معركة لأعيا عيسى

أو كان لـج البحر مثل يمينه
ما انشق حتى جاز فيه موسى

أو كان الزيران ضوء جبينه
عبدت فكان العالمون مجوسا

يا من نلوز من الزمان بظله
أبدا ، ونطرد باسمه إبليسا

وقوله فى أحد التنوخيين :

ملك تكون كيف شاء كأنما
يجرى بفصل قضائه المقصور

وقوله في تنوخي آخر (هو الحسين بن إسحاق التنوخي) :
فما ترزق الأقدار من أنت حارم
ولا تحرم الأقدار من أنت رازق



له رحمة تحيي العظام ، وغضبة
بها فضلة للجرم عن صاحب الجرم
وقوله في تنوخي ثالث (هو علي بن إبراهيم التنوخي) :
كأن سخاءك الإسلام تخشى
إذا ما حلت عاقبة ارتداد
وقوله يمدح عبد الواحد بن العباس بن أبي الإصبع
الكاتب :

نفذ القضاء بما أردت كأنه
لك كلما أزمعت أمرا أزمعنا
وأطاعك اندهر العصي كأنه
عيد إذا ناديت لبي مسرعا
وقوله يمدح عبد الرحمن بن المبارك الأنطاكي :

ذا السراج المنير ، هذا النقي الـ
جيب ، هذا بقية الأبدال

فخذ ماء رجله وانضجها في الـ
مدن تأمن بوائق الزلزال

وامسحاً ثوبه البقير على ذا
نكماً تشفياً من الأعلال

رجل طينه من العنبر الور
د ، وطن العباد من صلصال

هبيات طينه لاقت الما
فصارت عذوبة في الزلال

وقوله في بدر بن عمار :
لو كان علمك بالإله مقسماً
في الناس ما بعث إله رسولا

لو كان لفظك خيهمو ما أنزل الـ
بفرقان والنسوراة والإنجيل

وقوله في سيف الدولة :
ويستكبرون الدهر والدهر دونه
ويستعظمون الموت والموت خادمه



ووكل الظن بالأسرار فانكشفت
له ضمائر أهل السهل والجبل

فلا موت إلا من سنانك يتقى
ولا رزق إلا من يمينك يقسم



تجاوزت مقدار الشجاعة والنهى
إلى قوله قوم : أنت بالغيب عالم

وقوله يمدح كافورا :

قضى الله يا كافور أنك أول
وليس بقاض أن يرى لك ثانى



لو الفلك الدوار أبغضت سعيه
لعوقه شيء عن الدوران

وقوله فى عضد الدولة :

الناس كالعابدين آلهة
وعبده كالموحـد الله

وليس من المعقول أن هؤلاء المدوحين كانوا من
الإسماعيليين •

ولنلاحظ مرة أخرى أن المتنبي لم يعد لأبى الفضل هذا
بعد ذلك • وهذه كانت عادته : لا يعود لمدوح تركه ، فهو
كتقارب يحمله السيل الحرم : دائما يتقدم ولا يعرف الرجوع !

أريد أن أقول إن أبا الفضل ذاك لم يكن إلا واحدا من الذين مدحهم المتنبي ليحصل منهم على بعض المال، ثم تركه وحمله تيار الحياة إلى غيره وغيره • هذا كل ما هنالك •

ولنفترض بعد ذلك كله أن المتنبي لم يمدح ، لسبب أو لآخر ، أحدا من الإسماعيليين، فكيف لم يرد ذكره في كتب الإسماعيلية التي تتحدث عن عقائدهم وتاريخهم ورجالهم ؟ لقد نشر عدد كبير من هذه الكتب ، وعكف عليها نفر من الدارسين تخصصوا فيها ، سواء من المستشرقين ، مثل إيفانوف وبرنارد لويس ، أو من العرب ، مثل عارف تامر ومصطفى غالب و د • محمد كامل حسين • ومع ذلك فإن أحدا من هؤلاء لم يقل إنه وجد للمتنبي ذكرا في كتب القوم بوصفه واحدا منهم • إن المتنبي شاعر عبقرى : غلو أحس الإسماعيليون مجرد إحساس أنه منهم أو له بهم صلة لما سكتوا أبدا (١١) • لقد

(١١) وحتى أعطى القارئ فكرة عن مدى اهتمامهم بكل من ينتمى إليهم أذكر أن رؤساء البهرة فى أيامنا هذه (وهم فرع من الإسماعيلية) يبدون اهتماما بمسجد « على المغربى » فى قرينتنا (كتامة الغابة ، مركز بسيون ، غربية) • والمعروف أن قبيلة كتامة كان لها دور عظيم فى نصرة الفاطميين بالمغرب • ويبدو لى أن فروعا من هذه القبيلة قد وفدت إلى مصر ، واستقرت فى مواضع مختلفة منها ، ومن بينها قرينتنا ، وأن هذا الشيخ ينتمى إلى هذه القبيلة • فانظر مدى الاهتمام الذى يبديه هؤلاء الإسماعيليون الهنود (البهرة) بعد كل هذه القرون بمسجد ولى مغمور فى قرية مغمورة من قرى مصر • فإذا كان هذا حالهم مع مثل هذا الولى المغمور فما بالك بالإسماعيليين مع المتنبي لو كان المتنبي إسماعيليا ؟

رجعت إلى ما أتيتح لى من كتب الإسماعيلية ، مثل « سيرة الأستاذ جوذر » لأبى على منصور العزيزى الجوذرى ، و « دعائم الإسلام » و « كتاب المهمة فى آداب اتباع الأئمة » للمقاضى النعمان بن محمد ، و « ديوان المؤيد فى الدين داعى الدعاة » ، و « المجالس المستنصرية » ، و « السجلات المستنصرية » ، و « المجالس الرياض » لحميد الدين أحمد بن عبد الله الكرمانى ، و « المجالس المؤيدية » للمؤيد فى الدين الشيرازى ، وكذلك « أصول الإسماعيلية » لبرنارد لويس ، وكتاب المقرئى « اتعاض الحنف بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا » ، و « المهدية فى الإسلام » لسعد محمد حسن ، وما كتبه عارف تامر عن « القرامطة » وعن « الإمامة فى الإسلام » ، ومصطفى غالب عن « تاريخ الدعوة الإسماعيلية » ، و د . محمد كادل حسين عن « الحياة الفكرية والأدبية بمصر من الفتح العربى حتى آخر الدولة الفاطمية » فلم أجد فيها ما يدل ، أو حتى يفهم منه ولو على سبيل التأويل والتعسف ، أن المتنبى كان يوما من الأيام واحدا منهم . وقصارى ما وجدته هو استشهاد المؤيد فى الدين داعى الدعاة (فى ترجمته لنفسه المعنونة بـ « سيرة المؤيد فى الدين داعى الدعاة ») بثلاثة أبيات وشطرة للمتنبى لا علاقة لها بالإسماعيلية أو بأى مذهب دينى آخر من قريب أو من بعيد . وهذه الأبيات هى قوله فى رسول ملك الروم ووفوده على سيف الدولة ، الذى يسميه المؤيد فى الدين « ابن حمدان » ،

وهي تسمية لها دلالتها على رغبة المؤيد في التحقير من شأن
سيف الدولة (ممدوح المتنبي ، بل أقرب ممدوحيه إلى نفسه ،
لاحظ) :

وأقبل يمش في البساط فما درى

إلى البحر يمشى أم إلى البدر يرتقى

وقوله يخاطب كافورا ، وكافور كما نعلم سنى ، وكانت
بينه وبين الفاطميين في المغرب عداوة شديدة :

وما شئت إلا أن أدل عواذلى

على أن رأيى في هواك صواب

وأعلم خلقا خالفونى فشرقوا

وغربت أنى قد ظفرت وخابوا

وقوله لأبى شجاع غاتك ، منافس كافور في مصر :

« فليسعد النطق إن لم يسعد الحال » (١٢) • وكما ترى فإن
هذه الشواهد هي كلها في مدائح أعداء الفاطميين • ولو كان
للمتنبي أدنى علاقة بالإسماعيلية لما غات ذلك المؤيد في الدين
ولأشار إليه • ومثل ذلك إشارة عارف تامر المعارضة في كتابه
« القرامطة » إلى أن المتنبي سكن « سلمية » مدة من الزمن وأنه
حضر فيها معركة مع سيف الدولة (١٣) • وهذا كل ما هنالك •

(١٢) انظر هذه الأبيات والسياق الذى وردت فيه • مسيرة
المؤيد فى الدين داعى الدعوة ، / ٨٥ ، ١٠٤ ، ١٦٧ على هذا
الترتيب •

(١٣) عارف تامر / القرامطة / ٥٧ •

من هنا غابني أستغرب أشد الاستغراب حين أجده
 د. محمد كامل حسين ، بعد هذا كله ، يقول في سياق حديثه
 عن تأثروا بالإسماعيلية والقرامطة إن « المتنبي الشاعر المفضل
 تأثر بالقرامطة ، الذين كانوا على صلة بالإسماعيلية ، بل قيل
 إن المتنبي اعتنق مذهبهم وتأثر بهم في حياته وشعره » (١٤) .
 إن المتكلم هنا ليس هو د. محمد كامل حسين ان العالم المحقق
 المدقق الذي لا يقول قولاً إلا بتوثيق ، ولكنه د. محمد كامل
 حسين تلميذ د. طه حسين وماسينيون المعجب بهما أشد
 الإعجاب ، فهذا كان رأيهما : رأى ماسينيون أولاً ، ثم جاء
 للدكتور طه كعادته ، فأخذ هذا الرأي ونفخ فيه وضمم ،
 وإلا فأين النصوص أو النص الذي اعتمد عليه د. محمد كامل
 حسين في كلامه هذا ، حتى لو كان هذا النص جملة واحدة أو
 عبارة طائفة في أحد كتب الإسماعيلية ، وهو من أشهر من
 تخصصوا فيها وفي تحقيقها ونشرها ، أو غيرهم من القدماء
 معاصري المتنبي أو حتى من غير معاصريه ؟ ومع ذلك فيحمد له
 أنه كان حريصاً في صوغ كلامه فقال : « بل قيل : إن المتنبي
 اعتنق مذهبهم وتأثر بهم في حياته وشعره » ، وإن لم يذكر
 لنا من قال هذا . وطبعاً هو بلاشير وماسينيون ، ثم د. طه
 حسين بعد ذلك وغيره . المهم أنه ، وهو المتخصص المتعمق في

(١٤) انظر مقدمته لكتاب « المجالس المستنصرية » للداعي
 ثقة الإمام علم الإسلام / ع .

كتب الإسماعيلية وعقائدهم وتاريخهم ، لم يجد في نهاية المطاف شيئا عن علاقة المتنبي بالإسماعيلية والقرامطة ، اللهم إلا صيغة التمريض : « قيل » •

كذلك غلو كان المتنبي إسماعيليا لأراح نفسه من البداية وقصد الفاطميين في المغرب ، وبخاصة أن الفاطميين كانوا يكرمون الشعراء إكراما شديدا ، ويهتمون بالشعر ويعتزون به ويتخذونه وسيلة لتثبيت ملكهم وتوطيد دولتهم (١٥) • وقد كان أخرى أن ينال طلبته في الحكم والولاية عندهم ما دام على مذهبهم ، أو كان على الأقل يستطيع أن يدعى عقيدتهم لينال الخطوة لديهم ، وعلى الأخص بعد فشله عند كافور ، وبدلا من أن ييهم وجهه حين فر من مصر ، نحو المشرق ، الذي لم ينسل منه حتى ذلك الوقت إلا وجع الدماغ ، يوليه نحو المغرب إلى المعز لدين الله ، أو كان هذا يرسل إليه يستقدمه إلى عاصمة ملكه ، وهو الذي كان يريد أن يباهى بآبائ هانيء في مقابل مباهاة أهل المشرق بالمتنبي (١٦) • وهذه الرغبة المعزية في المباهاة بآبائ هانيء في مقابل مباهاة أهل المشرق الإسماعلي بالمتنبي لا تعنى إلا شيئا واحدا : أن المتنبي لم تكن له صلة بالإسماعيليين ، ولا كان على مذهبهم ، ولا فكر فيهم أو فكر وافيهم •

(١٥) انظر عبد الحميد حسن / صفحات من الادب المصري من العصر الفاطمي إلى النهضة الحديثة / ١١ - ١٥ •
(١٦) انظر مصطفى غالب / تاريخ الدعوة الإسلامية /

وكذلك لم يحدث أن المتنبي قد انحاز إلى أية من الجماعات القرمطية التي كونت مجتمعا خصا بها ، بل على العكس من ذلك اشترك في الدفاع عن الكوفة مسقط رأسه حين هاجمها القرامطة في أخريات حياته ، ونظم قصيدة في مدح دلير بن لشكروز ، وهو قائد عباسي جاء لنجدة المدينة (وإن كان القرامطة قد انهزموا وارتدوا عن المدينة قبل وصوله) ، وفي هجائهم (١٧) .

ليس ذلك فقط ، بل إن لابن هانيء قصيدة يهاجم فيها المتنبي ويغض من شعره . ولو كان المتنبي إسماعيليا لما وقف منه ابن هانيء الإسماعيلي هذا الموقف المعادي (١٨) . كذلك فإن ماسينيون يقول إن ابن الفرات ، وزير كافور ، كان قرمطيا في السر . وبغض النظر عن أن هذا صحيح أو لا (١٩) ، فإننا نتساءل : إذا كان الأمر كذلك فكيف تعادى الرجلان وكلاهما في زعم ماسينيون إسماعيلي ؟ وفي النهاية نطرح هذا السؤال الهام : إذا كان المتنبي إسماعيليا فكيف لم تحتو مكتبته على بعض كتب الإسماعيليين ؟ إن أحدا لم يشر إلى هذا في القديم أو الحديث ، من خصومه أو معجبيه . فإذا قيل : لقد كان

(١٧) انظر القصيدة في ديوان المتنبي / ٥١٨ .

(١٨) انظر هذه القصيدة في كتاب « مع شعراء الاندلس والمنتبى » لإميليو غرسيه غومث / ٤٩ - ٥٠ .

(١٩) انظر مثلا في علاقة الوزير ابن الفرات بالفاطميين / اتعاط الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء / ١٤٧ - ١٤٨ ، ٣٣٥ .

إسماعيليا (أو) قرمطيا) في فترة من حياته ثم رجع عن ذلك قلنا : فكيف لم نسمع أن أحدا من القرامطة أو الإسماعيليين قد هجاء لذلك أو فضحه عند من اتصل بهم من الملوك ؟

أما كلام ماسينيون عن ثورة المتنبى وتنبئه ودلالة ذلك على قرمطيته فقد فرغت من الرد عليه وتفنيده في الدراسة التي كتبتها عن حياة الشاعر وشخصيته وانتهيت إلى أنه لم يقم بأية ثورة أو يتنبأ (٣٠) .

ويبقى تركيز المستشرق الفرنسي على أن الكوفة كانت مركزا للقرامطة ، وليس هذا بدليل على قرمطية المتنبى ، إذ ليس يعقله أن كل الكوفيين في ذلك الوقت كانوا من القرامطة ، بل إن القرامطة كانوا يهاجمون من حين لآخر هذه المدينة . وآخرها في حياة المتنبى هي المرة التي اشترك فيها الشاعر مع أهل مدينته في معاربتهم وردهم على اعتابهم خائفين ، كما أشرنا .

فهذا من ناحية المحور التاريخي : أنه لا يوجد دليل واحد على أن المتنبى كان في وقت من الأوقات إسماعيليا أو قرمطيا . أما المحور النصومي فهو يدور حول نقطتين : الأولى الألفاظ والمصطلحات والعبارات الموجودة في شعر المتنبى ، والتي ادعى ماسينيون أن الشاعر قد أخذها عن الإسماعيليين (أو

(٢٠) انظر الفصل الثاني من كتابي / المتنبى - دراسة جديدة لحياته وشخصيته .

القرامطة) • والثانية الأفكار التي يرى المستشرق الفرنسي أن
المتنبى قد استمدّها من المذهب الإسماعيلي (أو القرمطية) •

ونبدأ بالألفاظ والعبارات • إنه يرى أن قوله :

إن كان مثلك كان أو هو كائن

فبرئت هيئذ من الإسلام

هو سخرية منه بالإسلام • ولا أدري أية سخرية بالإسلام
في هذا البيت • إن في الكلام ، لاشك ، مبالغة ، ولكنها مثل قول
الواحد منا : « لأقطع ذراعى لو لم يكن الأمر على ما قلت »
أو قول الأب لابنه : « سأقطع رقبتك بالسكين إن لم تفعل كيت
وكيت » ، ولا قطع ولا خلافة • على أن مثل هذه التعبيرات
لتدل دلالة قاطعة على أن الذراع أو الرقبة المهددة بالقطع هي
أعلى شيء عند صاحبها ، أو على الأقل : من أعلى الأشياء عنده ،
أى أن المتنبى حين يهدد بأنه سيبرأ حينئذ من الإسلام فإنما ينم
هذا على أنه مسلم يغالى بإسلامه ، ولا يجد ما هو أعز عنده
منه ليقسم به • أما قول ماسينيون إن في البيت التالى :

لولم تكن من ذا المورى للذ منك هو

عقمت بمولد نسلها هواء

سخرية بجواء غانى في الحقيقة لا أفهم ما علاقته
بالقرمطية أو الإسماعيلية • أما سخرية المتنبى بالمهدى ، وذلك
في قوله يمدح عضد الدولة :

فإن يكن المهدي من بان هديه

فهذا ، وإلا فالهدي ذاء ، فما الهدي ؟

فإنها تدل على أنه لم يكن يذهب مذهب الشيعة ، على الأقل في عقيدتهم في المهدي ، فضلا عن أن يكون إسماعيليا أو قرمطيا ، فالإسماعيلية وانقرمطية ، كما نعرف ، هما نبتتان شيعيتان فيهما غلو وكثير من الانحراف • ومع ذلك فإننا نرى أن المتنبي في البيت التالي :

أو كان لج البحر ملء يمينه

ما انشق حتى جاز فيه موسى

وكذلك في هذا البيت الذي يتحدث فيه عن معجزة إحياء الموتى على يد سيدنا عيسى عليه السلام :

لو كان صادف رأس عازر سيفه

في يوم معركة لأعيا عيسى

قد استسلم لنزوة السفاهة ، وإن كنت لا أوافق من زندقوه أو كفروه بسببهما ، فإنهما ، رغم ما فيهما من سفاهة وقلة عقل ، يومئذ إلى أن المتنبي كان يؤمن بمعجزة خلق البحر على يد موسى ، وإحياء الموتى على يد عيسى • وقد قال المتنبي ذلك وهو لا يزال في برد الصبا ، وما فتىء الصبيان في عصرنا يقولون كلا ما شنيعا بالسنتهم غير معتقديه في قلوبهم ، من مثل سب الدين وخلافه •

أما زعم ماسينيون أن البيت الأخير يكشف عن قرمطية المتنبي القديمة ، إذ « إن السنن بل حتى الشيعة العادي

ليجهلان عازر ، وانقراطة وحدهم هم الدين أخفوه وأسندوا إليه في عقيدتهم دورا « فإن الواقع يكذبه تماما . ولا أدرى على أى أساس حكم بأن السنيل والشيعي العادي كانا يجهلان عازر ولا يعرفان عنه شيئا . ولماذا ينفرد القرامطة في رأيه بمعرفة هذه الشخصية التاريخية ؟ هل يظن ماسينيون مثلا أن المسلمين لم يكونوا يقرأون الإنجيل وبالتالي لا يعرفون شيئا عن عازر هذا ، الذي يقول الإنجيل عنه إنه أحد الذين أحياهم عيسى عليه السلام ؟ فكيف ألفوا في اليهودية والنصرانية وقارنوا بينهما وبين الإسلام إذن ، إذا لم يكونوا قد قرأوا التوراة والإنجيل ؟ ثم ماذا يقول ماسينيون في العكبري مثلا ؟ أهو أيضا في نظره قرمطي ؟ فإنه كان يعرف أن « عازر رجل من بنى إسرائيل ، هو الذي أحياه الله لعيسى بن مريم » . (٢١) وماذا في هؤلاء المفسرين : النووي (صاحب التفسير المسمى « مراح لبيد » ، وهو سنن) ، الذي فسر قوله تعالى من سورة « آل عمران » على لسان عيسى عليه السلام : « وأحيى الموتى بإذن الله » بقوله : « أى بالاسم الأعظم ، وهو « يا حي يا قيوم » ، فأحيا أربعة أنفس : أحيا عازرا ، بعد موته بثلاثة أيام حتى عاش وولد له ٠٠٠ إلخ » (٢) والجلالين ، اللذين قالوا في تفسيره : « فأحيا عازر صديقا له ٠٠٠ إلخ » (٣) ، ونظام

(٢١) العكبري ١٨٨/٢/١٩٨ هـ .

(٢٢) مراح لبيد / تفسير النووي ٩٩/١٤/٩٩ هـ .

(٢٣) حاشية العلامة الصاوي على تفسير الجلالين

١٥٥/١٤/١٥٥ هـ .

الدين النيسابورى (صاحب تفسير « غرائب القرآن و رغائب الفرقان ») ، ونص كلامه : « وأحيى الموتى : أحيى عازرا ، وكان صديقا له ٠٠٠ » (٢٤) ، والطبرسى الشيعى ، الذى قال : « وقيل إنه أحيأ أربعة أنفس : عازر ، وكان صديقا له ٠ وكان قد مات منذ ثلاثة أيام ، فقال لأخته : انطلقى بنا إلى قبره ٠ ثم قال : اللهم رب السماوات السبع ورب الأرضين السبع ، إنك أرسلتني إلى بنى إسرائيل أدعوهم إلى دينك ، وأخيرهم باني أحيى الموتى ، فأحيى عازر ، فخرج من قبره ، وبقي وولد له » (٢٥) ثم (وهذا هو المهم) إن المتنبي حين أشار إلى إحياء عيسى عليه السلام لعازر إنما يعنى ، كما قلت قبلا ، أنه كان يعتقد فى وقوع تلك المعجزة ، بوصفه مسلما ، فقد وردت هذه الإشارة عنده مع إشارة أخرى إلى خلق أنبىاء لموسى ، وإشارة ثالثة إلى إتيان الإسكندر الظلمات ، وهذه القصص الثلاث ليست موجودة معا إلا فى القرآن ، وإن لم يذكر القرآن اسم عازر ولا اسم الإسكندر (٢٦) ٠ أما ما يسنده القرامطة ، على حسب كلام ماسينيون ، إلى عازر هذا من دور فى عقائدهم فلا وجود له فى بيت المتنبي ٠

(٢٤) انظر تفسير النيسابورى ، على هامش تفسير الطبرسى / ١٩٦/٣٠

(٢٥) تفسير الطبرسى / ٨٧/٣٠

(٢٦) انظر فى القصة الأخيرة الآيات / ٨٢ - ٩٨ من سورة الكهف ، ٠ والقرآن هو الكتاب الوحي بين الكتب الثلاثة (التوراة والإنجيل والقرآن) الذى وردت فيه هذه القصص كلها ٠

ومن الألفاظ التي يقوله ماسينيون إن المتنبي قد أخذها من
للقرامطة كلمة « شيخ » ، وذلك في البيت الأخير من الأبيات
التالية :

لأتركن وجوه للخيال سائمة
والعرب أقوم من ساق على قدم
والطن يحرقها ، والزهر يقلقها
حتى كأن بها ضربا من اللمم
قد كلمتها الموالي فهي كالحمة
كأنما الصاب مذرور على اللجم
بكل منملت ما زال منتظري
حتى أدلت له من دولة الخدم
شيخ يرى الصلوات الخمس نافلة
ويستحل دم الحجاج في الحرم

فعنده أن « الشيخ » هو مصطلح قرمطي معناه
« الزعيم » . والواقع أن عددا من كبار شارهي ديوان المتنبي
يخطئون من يفسر « الشيخ » في هذا البيت بأنه « واحد
الشيوخ من البشر » ، ويرون أن المقصود به هو « السيف » ،
ومن هؤلاء ابن القطاع والواحدى والخطيب وأبو العلاء (٢٧) ،

(٢٧) لاحظ أن أبا العلاء المدعى عليه من قبل ماسينيون أنه
هو أيضا إسماعيلي يرى أن « الشيخ » هنا معناه « السيف » . ولو
كان يعني « زعيما قرمطيا » لكان أول المبادرين ، بوصفه إسماعيليا
(والقرامطة إسماعيلية) ، بإعطاء الكلمة هذا المعنى :

والعكبرى أيضاً فيما يفهم من سياق كلامه في شرح البيت (٢٨) .
 وإني أرى أن السياق يوافق هذا التفسير ، إذ سواء أعربنا
 « شيخ » على أنها بدل من « منصلت » أو خبر لـبتداً محذوف
 تقديره « هو » يعود على « منصلت » ، فإن « منصلت » هي
 في الأصل وصف للسيف ، وإن كانت تستعار للإنسان . فهذه
 واحدة ، أما الثانية فإننا لو قلنا إن « شيخ » معناها « زعيم
 قرمطي » (ومثلها طبعاً « منصلت ») كما يريدنا ماسينيون أن
 نفعل ، فمعنى ذلك أن المتنبي يقول إن زعماء القرامطة كانوا
 ينتظرونه ليديل لهم من دولة الخدم ، فهل يعقل ، لو كان قرمطياً
 حقاً ، أن يعكس الآية ، فيجعل زعماء القرامطة يتبعونه ويأترون
 بأمره ويتنظرون عونه ، وهو الصبي المدقع المحروم كما تشير
 هذه الأبيات (وهي من القصيدة نفسها) :

لم الليالى التى أخت على جدتى
 برقة الحال ، واعذرني ولا تلم

أرى أناساً ومحصولى على غنم
 وذكر جود ومحصولى على الكلم

ورب مال فقيراً من مروتة
 لم يثر منها كما أثرى من العدم ؟

(٢٨) انظر العكبرى / ٤٢/ ٤٢٣ . وفيه أن الشيخ اسم
 من أسماء السيف ، ومن أسمائه أيضاً العجوز . وقد سمي كذلك
 لأن السيف يمدح بقدمه ، أو تشبيهاً لبياضه بالشيب .

ولنفترض أن كلمة « شيخ » قد أريد بها فعلاً « واحد الشيوخ من البشر » ، فلم لا يكون معناها هو الشيخ العاды ؟ إن معنى تفسير ماسينيون لكلمة « شيخ » أن المتنبي كان زعيماً كبيراً من زعماء القرامطة وقائداً عسكرياً ذا سلطان فيهم ، فكيف لا نجد عنه شيئاً في ما كتب عن القرامطة وقوادهم وحرورهم (٢٩) ؟ هذا إن سلمنا بأن هذا الصبي الغريب الذي لا عصبية له ولا مال يمكن أن يكون قائداً لزعماء القرامطة . ربما تأثر المتنبي بما سمعه عن الحوادث الفظيعة التي ارتكبتها القرامطة فهدد بمثلها ، لكن ينبغي أن ننبه إلى أن ثورته في قصائده إنما هي ثورة الفقر والعجز والحرمان ، ثورة صبي على ناروفه السيئة التي ولد فيها ، والتي كان يرى أن مواجهته تؤهله لما هو أفضل منها ، فهي ثورة فردية شخصية لا أكثر . وقد هدأ أوراها عندما جرى المال في يديه ، وقربه الملوك إليهم . ثم إن البيتين الأخيرين في هذه القصيدة ليدلان على أن الأمر كله لم يكن أكثر من كلام في كلام . إنه يقول :

ميعاد كل رقيق الشفرتين غدا

ومن عصى من ملوك العرب والعجم

(٢٩) انظر كتابي « المتنبي - دراسة جديدة لحياته وشخصيته » ، / ١٢٧ - ١٤٧ ، حيث بينت أنه لا يمكن أن يكون قد قام بثورة ، قرمطية كانت أو غير قرمطية

فإن أجابوا لما قصدى بها لهمو
وإن تولوا غما أرى لها بهي

والذى نعرفه أن هذا « الغد » لم يأت أبدا • علاوة على
أن البيت الأخير ينسف هذا التهديد نسفا ، فهو يقول : إن ملوك
العرب والعجم إن استجابوا لى تركتهم وعفوت عنهم ، أما إن
تولوا فإننى لا أرى بهم طعاما لشفرة سيفى • أى أنه فى
الحالين لن يمسهم بسوء (٣٠) • والطريف أنه بينما يقول إن
ميعاد كل رقيق الشفرتين قدما مع من عصى من ملوك العرب
والعجم ، نراه يقول إنه قد (أدال) لكل منصلت من دولة
الخدم ، يعنى أن ذلك تم وانتهى الأمر • فانظر هذا التناقض ،
الذى يدل على أن الأمر لم يكن يعدو الكلام •

ويستمر ماسينيون فى عد الألفاظ والمصطلحات التى يرى
أن المتنبنى قد أخذها من الإسماعيليين ، فيذكر عبارتى : « قدس
الله روحه » و « الفلك الدوار » ، اللتين ينسبهما إلى إخوان
الصفاء (وهم من الإسماعيليين) • غير أن ماسينيون ينسى أن
إخوان الصفاء لم يظهروا على ساحة الفكر الإسلامى إلا بعد
موت المتنبنى ، فكان المفروض ، بناء على هذه الطريقة من

(٣٠) انظر العكبرى ٢١٥/٤٤/٤ حيث يفسر الشطره
الآخيرة هكذا : « وإن أدبروا عنى فلا اقتصر على قتلهم وحدهم ،
بل اقتلهم وقوما آخرين » ، وهو كما ترى تفسير لا يسعف البيت
عليه أبدا •

التفكير ، أن يعكس الآية ويقول إن إخوان الصفا هم الذين أخذوا هذين التعبيرين من المتنبي . لقد لاحظت فعلا أن هذه العبارة تتردد في بعض كتب الإسماعيلية التي اطلعت عليها ، مثل « سيرة الأستاذ جوذر » (٢١) و « السجلات المستنصرية » (٢٢) ، و « دعائم الإسلام » للقاضي النعمان ابن محمد ، إذ كتبت في صفحة العنوان الداخلية بعد اسمه هذه العبارة : « قدس الله روحه ورزقنا شفاعته » . ولكن ، هل كل من يستعمل هذه العبارة هو بالضرورة إسماعيلي ؟ لقد صادفتها عند الطبرسي (وهو مفسر شيعي معتدل من القرن السادس الهجري) في تفسيره « مجمع البيان » أكثر من مرة (ح / ٤ ص ٨٩ ، ١٠٦ مثلا) ، وكذلك عند القاشاني الصوفي (من القرن الثامن الهجري) ، وذلك في كتابه « اصطلاحات الصوفية » (ص ٧٥ ، ٨٥ . وكذلك « قدس الله سره » ص / ١٥٧) . إذن فهذا الدعاء ليس مقصورا على الإسماعيليين . ثم كم مرة استعملها المتنبي ؟ إن ماسينيون يشير إلى موضع واحد ، بما يعني أن المتنبي لم يستعملها إلا مرة واحدة فقط ، فهل معنى استعمال شخص لعبارة ما خاصة بمذهب معين مرة واحدة (إن صح أنها مقصورة على الإسماعيليين ، وهو غير صحيح) ، أنه ينتمي إلى هذا المذهب ؟ ما أكثر ما نستخدم مصطلحات مثل « الرجعية » و « الهتمية

(٢١) ص / ٢ ، ٥٢ ، ٦١ ، ١٢٦ ، ١٤٧ ، ١٧٦ مثلا .

(٢٢) انظر صفحة العنوان حيث وردت العبارة التالية :

« قدس الله أرواح جميع المؤمنين » .

التاريخية » ، أفيمكن أن يتخذ هذا دليلا على أننا ماركسيون أو على الأقل يساريون ؟ ولمصطفى السباعي (وهو من الإخوان المسلمين) كتاب بعنوان « اشتراكية الإسلام » ، وللعقاد كتاب عنوانه « الديمقراطية في الإسلام » ، وهذا المصطلحان يعنيان في الفكر السياسي الغربي شيئا مختلفا عما قصده السباعي والعقاد . هذا ، وعبرة « قدس الله روحه » إنما هي عبارة دعائية ، وليست مصطلحا عقيديا مثلا ، وليس فيها أدنى مصادمه لعقائد الإسلام أو شرائعه . وبقليل من التفكير نرى أنها مأخوذة من تسمية « الروح القدس » ، التي تطلق في القرآن الكريم على جبريل عليه السلام . على أن هذه ليست هي العبارة الدعائية الوحيدة التي قابلتني في كتابات الإسماعيليين ، فهناك أيضا « صلوات الله عليه » (بالنسبة للخلفاء الفاطميين) (٢٣) و « رضى الله عنه » (٢٤) ، و « صانه الله » ، (٢٥) و « صانك الله وسلمك » (٢٦) ، و « أيدك الله وإيانا بروح منه » (٢٧) ، و « أنار الله برهائك » (٢٨) . ولم يرد

(٢٣) انظر مثلا سيرة الأستاذ جوذر / ٣ ، ٤ ، ٢٢ ، ٢٣ .

٣٦ إلخ .

(٢٤) سيرة الأستاذ جوذر / ٤٠ ، ٤١ ، ٤٢ ، ١٢٨ مثلا .

(٢٥) سيرة الأستاذ جوذر / ٣٥ مثلا .

(٢٦) سيرة الأستاذ جوذر / ٦٠ ، ٦١ ، ٧٠ ، ٧٢ ، ٧٣ .

٧٥ ، ٨٥ ، ١٠٠ ، ١٠٨ ، ١١٣ ، ١٢٢ إلخ .

(٢٧) رسائل إخوان الصفا / ح ٣ / ٣ ، ٥٤ ، ٦٨ ، ١٨٥ .

١٨٩ ، ١٩٧ ، ٢٠٠ ، وح ٤ / ٨٢ ، ٨٣ ، ٨٥ ، ١٨٥ ، ١٧٨ ، ٢٣٥ .

٣٣ إلخ .

(٢٨) رسائل إخوان الصفا / ح ٣ / ٦٣ مثلا .

في شعر المتنبي من هذه الأدعية إلا قوله في المغيث بن بشر
العجلى :

وأعطيت الذى لم يعط خلق
عليك صلاة ربك والسلام
وقوله في سيف الدولة :

على وجهك الميمون فى كل غارة

صلاة توالى منهمو وسلام

وهو دعاء مستعمل كثيرا على ألسنة الشعراء • على أن
ثمة فرقا بينه عند المتنبي وغيره من الشعراء غير الإسماعيليين
من جهة وبينه عند الإسماعيليين من جهة أخرى ، فهؤلاء
يستعملونه فى أئمتهم وخلفائهم فقط • كذلك لابد أن نعرف أن
المتنبي أو كان إسماعيليا لورد اسمه (بهذه الصفة) فى الغالب ،
فى كتابات إخوان الصفا •

وبعد ، فهذا هو السياق الذى وردت فيه هذه العبارة علو
لسان المتنبي : أولا ، لم ترد هذه العبارة فى شعره ، بل أوردتها
البديعى فى حوار للشاعر مع الحاتمي ، أكثر فيه هذا من الثناء
على أبى تمام وشعره إغاضة للمتنبي ، الذى هال منفجرا
(والعهد على الحاتمي) : « أكثرت من أبى تمام ، فلا تهتس
الله روح أبى تمام ! » فرد عليه الحاتمي : « لا قدس الله
روح السارق منه الواقع فيه ! » • وثانيا : لقد استعمل الحاتمي
نفس العبارة هو أيضا ، فهل تراه كان هو أيضا إسماعيليا ؟
وثالثا : لقد مرت العبارة دون أن تثير فى نفس الحاتمي أى قدر

من الاستغراب ، بل مضى يسأل المتنبى عن أصل اشتقاقها
 قائلا : « ما الفرق في لغة العرب بين التقديس والقداس
 والقدس ؟ ... إلخ » (٣٩) . وهو ما يدل على أن هذه العبارة
 هي مجرد عبارة عادية لا تستحق كل هذه الطنطنة التي أثارها
 ماسينيون ! على أن المسألة لا تنتهي عند هذا الحد ، فإن
 العبارة ، كما وردت في « الرسالة الحاتمية » هي : « لا قدس
 الله أبام تمام وذويه » . وكان رد الحاتمي هو : « ولا قدس الله
 السارق منه والواقع فيه » (٤٠) . أما في « الرسالة الموضحة »
 (للحاتمي) ، التي تعد « الرسالة الحاتمية » تاييضا لها بمعنى
 من المعاني ، فليس فيها هذه المشادة (بين المتنبى والحاتمي)
 التي انفجر فيها الشاعر غضبا ولا العبارة الدعائية التي نسبت
 إليه (٤١) . فأين الحقيقة في هذا كله ؟ إن د. محمد يوسف
 نجم ، محقق « الرسالة الموضحة » يقول : « ويبدو لي ، بعد
 دراسة « الموضحة » وتتبع مجالسها وما دار فيها من مناظرة
 وجدل ، أن الحاتمي ردد فيها النظر مرات عدة قبل أن تستقر
 على هذه الصورة التي ننشرها بها » (٤٢) . وقال في موضع

(٣٩) انظر البديعي / ١٤١ .

(٤٠) انظر « الرسالة الحاتمية » ، (في ذيل كتاب « الإبانة عن

سراقات المتنبى » ، للعميدى / ٢٦٨) .

(٤١) انظر « الرسالة الموضحة » ، / ١٦٠ - ١٦٢ ، حيث

وردت أبيات أبي تمام البائية التي أثارت هذه المشادة على رواية

« الرسالة الحاتمية » ، و « الصبح المنبى » .

(٤٢) مقدمة « الرسالة الموضحة » ، / ل - م .

آخر : « وأورد بعض هذه المصادر (التي ترجمت للحاتمي)
نتفا منها تدلنا على أن المصنفين القدامى عرفوا منها نصين :
النص الذي ننشره ويبدو أن ما نقله ابن خلكان في « الوفيات »
واليافعى في « مرآة الجنان » مأخوذ عن نسخة منه ، ونصا
آخر أورده ياقوت في « إرشاد الأريب » ، وتبعه في ذلك البديعي
في « المصبح المنبى » . . . وتدل الاستشهادات الشعرية
والقضايا النقدية التي وردت في هذا النص على أنه كان بين
أيدي الناس نصان من هذه الرسالة ، أحدهما موجز ، وهو الذي
أورده ياقوت ، وآخر مطول منقح ، وهو نصنا هذا الذي نقل
منه ابن خلكان » (٤٢) .

فهاأنذا ترى أنه ليس عندنا دليل قاطع ولا حتى مرجح على
أن المتنبي قد قال هذه العبارة ، وبخاصة أن هذه هي المرة
الوحيدة التي قيل إنها جرت فيها على لسانه . ولا ننس أن
الحاتمي كان غرضه التشنيع على المتنبي تقريبا إلى الوزير
المهلبى ، الذي تعاضم المتنبي عن مدحه حين ورد على بغداد ،
وباد في رسالته هذه شدة التحامل على الشاعر ، حتى إنه
ليجعله دائما ينهزم في كل خلاف لغوى أو نقدى جرى بينهما .
فمثل هذه الظروف تجعلنا نغلب أن الحاتمي قد ترك لخياله
انعنان ، فاخترع أشياء كثيرة ونسبها إلى المتنبي . وإلا فلم
حذف العبارة التي نحن بصدها من « الرسالة الموضحة » ؟

(٤٢) مقدمة « الرسالة الموضحة » ، / ز - ح .

أو لعل الرواة والنساح قد تزيدوا في الكلام فأضافوا هذه
العبرة إلى المتنبي ليصنفوا الموقف بصيغة مسرحية • ولنفترض
بعد هذا كله أن المتنبي قد قال هذه العبرة فعلا ، فماذا
إذن (٤٤) ؟

أما عبارة « الفلك الدوار » فقد وردت في البيت التالي
للمتنبي في كافور :

لو الفلك الدوار (٤٥) أبغضت سعيه

لموقفه شيء عن الدوران

ولا أدري لماذا يقصر ماسينيون هذه العبارة على « إخوان
الصفاء » • إنها مصطلح فلكي من مصطلحات ذلك العصر ، فإذا
جاء المتنبي واستعملها فماذا فيها مما يجعله إسماعيليا ؟ (مرة
أخرى ، لاحظ أن شعر المتنبي وهو السابق على كتابات إخوان
الصفاء لا العكس) • ولقد بحثت في عدد من المعاجم الموسعة
في مادة « فلك » و « دور » عن شيء يدل على أن لهذه العبارة
شيئا من الخصوصية التي يسبغها عليها ماسينيون فلم أجد من
ذلك شيئا • وكل ما وجدته هو قول صاحب « محيط المحيط »

(٤٤) ارجع إلى ما قلناه في الفقرة السابقة •

(٤٥) وردت هذه العبارة أيضا في القرآن المزعوم الذي
نسبته بعض الروايات إلى المتنبي (هكذا : الليل والنهار ، والفلك
الدوار ، إن الكافر لفي أخطار) • وقد سبق أن رددنا هذا كله
وحللناه بتفصيل شديد في كتابنا « المتنبي - دراسة جديدة لحياته
وشخصيته » / ١٠٦ - ١٠٧ ، مما يغني عن إعادة القول فيه هنا •

(فى مادة « دور ») : « ودوران الكواكب مسيرها وانتقالها
من جهة إلى أخرى • ومنه قول أبى الطيب :

لو الفلك ادوار أبغضت سعيه

لعوقه شئ عن الدوران »

ولنلاحظ أيضا أنه قال ذلك فى كافور (السنى) ، ولم
يقله فى المعز لدين الله (الفاطمى) مثلا •

ويولى ماسينيون أيضا كلمة « الثقلان » فى شعر المتنبى
أهمية شديدة ، إذ يرى أنه لم يستعملها بمعنى « الجن
والإنس » بل بمعنى « القرآن والعتره (النبوية) » • والحقيقة
أنه لو صح أن المتنبى إنما استعمل هذه اللفظة فى المعنى الذى
زعمه ماسينيون فإنى لا أستطيع أن أجدها فيها ما يدل على
إسماعيليته • لقد ورد فى أحد الأحاديث النبوية : « إنى تارك
فيكم الثقلين • القرآن وعترتى » ، وإذن فتو كن المتنبى قد
قصد هذا المعنى لكان متابعا فى ذلك الحديث النبوى الشريف •
أم ترى النبى عليه الصلاة والسلام كان إسماعيليا ؟ على أن
المتنبى فى كل مرة استعمل فيها هذه الكلمة إنما عنى « الجن
والإنس » ، وهو المعنى الذى استخدمها فيه القرآن
الكريم (٤٦) • وهذه هى الأبيات التى تنبعت لاستخدامه هذه
الكلمة فيها : قال يمدح شجاع بن محمد الطائى المنبجى :

(٤٦) فى آية : « سنفرغ لكم ايها الثقلان » ، / الرحمن / ٣١ •

أنى يكون أبا البرية آدم

وأبوك والثقلان أنت محمد ؟

وقال لسيف الدولة :

وتملك أنفس الثقلين طرا

فكيف تحوز أنفسها كلابه

وقال لكافور :

فمالك تختار القسى وإنما

عن السعد يرمى دونك الثقلان ؟

هل يعقل لو كان المتنبي إسماعيليا أن يسوى بين شجاع
ابن محمد الطائي وبين القرآن والعتره ؟ ثم كيف يحوز سيف
الدولة أنفس القرآن والعتره النبوية (إن كان للقرآن أصلا
نفس تحاز) ؟ وكيف يرمى القرآن والعتره عن كافور ؟ وماذا
يقول ماسينيون في ابن هانئ (وهو شاعر إسماعيلي) ، الذى
يستخدم هذه الكلمة بمعنى « الجن والبشر » بنص كلامه ،
إذ قال في المتنبي وشعره محاولا الغض منهما :

فقد حملتم عليه فى قصائده

ما يضحك الثقلين : الجن والبشر ؟

وماذا يقول فى المعز لدين الله والقائم الخليفين الفاطميين ،
وقد استعملها بمعنى « الإنس والجن » أيضا (٤٧) ؟

(٤٧) - انظر سيرة الامتاز جودر / ٥٥ ، ٧٨ ، ١٦٦ ، ١٦٧ -

ويعد ماسينيون أيضا من مصطلحات الإسماعيلية التي استخدمها المتنبي في شعره كلمة « المهدي » ، مع أن المتنبي قد استعمل هذه الكلمة في التهكم على عقيدة المهدي . قال في عضد الدولة :

فإن يكن المهدي من بان هديه
فهذا ، وإلا فالهدي ذا ، فما المهدي ؟

يطلنا هذا الزمان بذا الوعد
ويخدع عما في يديه من النقد

هل الخير شيء ليس بالخير غائب
أم الرشد شيء غائب ليس بالرشد ؟

ولو كان قد استخدمها فيما كان الإسماعيليون يستخدمونها فيه لكان قد قالها مثلا في الخليفة الفاطمي (بالمغرب) في ذلك الوقت لا في عضد الدولة ، الذي لم يكن من نسل الهاشميين ، إذ ليست العبرة في استخدام كلمة ما ، وإنما في استخدامها بمعناها الاصطلاحي المذهبي ، وفي الشخص الذي وضعت له .

ومثل « المهدي » في ذلك كلمة « القائم » ، التي يرى ماسينيون أنها من الألفاظ التي يستعملها الإسماعيليون ، مع أنها تكثر في الشعر القديم عموما . وعلى أية حال فهذا هو البيت الذي يشير إليه ماسينيون ، وهو في مدح سيف الدولة :

القائم الملك الهادى الذى شهدت

قياسه وهده العرب والعجم

وسيف الدولة ليس من سلالة بنى هاشم ، حتى يقال
إن المتنبي قد استخدم هذه الكلمة بمعناها الاصطلاحى عند
الإسماعيلية . و « القيام » الذى يشير إليه المتنبي هنا هو
نهوض الأمير الحمدانى لحرب الروم ، كما يشير سياق
القصيدة .

وما قلناه عن كلمتى « المهدي » و « القائم » نقوله عن
كلمة « خلف » (بفتحين) ، وذلك فى قول المتنبي يرثى غاتكا
أبا شجاع (انذى كان منافسا لكافور فى مصر ، وإن لم يكن له
دهاؤه وحسن تخطيطه وطول أناته) :

لا غاتك آخر فى مصر نقمده

ولا له خلف فى الناس كلمى

إذ هى فى البيت لا تتصل على أى توجيهه بالمعنى الذى يريد
مابينيون أن يحملها إياه اعتسافا ، فالمتنبي ببساطة يقول إنه
لا يوجد فى مصر نظير لأبى شجاع فى كرمه .

أما كلمة « خميس » ، التى يحاول أن يربطها بعلى
ابن أبى طالب فهمى من الكلمات التى تشيع فى الشعر العربى
قديمه وحديثه ، ولا ينفرد بها الإسماعيليون حتى يقال إن

لاستعمال المتنبي لها دلالة على أنه منهم . ولا اظن الأمر
محتاجا إلى أى استشهاد ، فهو مشهور متعالم .

ومن الكلمات التى يعطيها ماسينيون ما ليس بحقها كلمة
« كوفان » ، التى وردت فى البيت التالى للمتنبي فى سيف
الدولة :

ابن المعفر فى نجد غوارسها
بسيفه وله كوفان والحرم

مع أنها لغة أخرى فى (الكوفة) ليست خاصة بالإسماعيليين
كما يتوهم (٤٨) . وإذا كان يقول إن هذا الاسم قد ورد فى
« ملحمة سلمان » ، فإننا نقول : وقد وردت أيضا فى بيت شعر
لابن لنكك يهجو فيه المتنبي :

متنبىكم ابن سقاء كوفيا
فى ويوحى من الكنيف إليه

فهل كان ابن لنكك إسماعيليا أيضا ؟ وإن كان فلماذا ينادى
المتنبى (الإسماعيلى) لحساب من ليسوا إسماعيليين ؟ وبالمناسبة

(٤٨) ليس هذا فقط ، بل هناك لغة ثالثة فيها هى « كوفان » ،
بفتح الكاف ومكون الراو . انظر الفيروزآبادى / القاموس المحيط ،
وكذلك البستاني « محيط المحيط » / مادة « كوف » ، بل إن صاحب
« لسان العرب » (مادة « كوف » ، ص / ٢٩٥٦ / النهر الثالث)
ينقل عن اللحياني والكسائي أن الكوفة كانت تسمى أولا « بكوفان » ،
يعنى قبل أن يوجه الإسماعيليون أصلا . فما رأى ماسينيون ؟

فالتنبى في البيت الذي نحن بصدده يشير إلى إيقاع أبى الهجاء والد سيف الدولة بالقرامطة في نجد ، أحنى أن البيت نفسه يدل على أن المتنبي ليس قرمطيا (والقرامطة إسماعيليون) ، بل يشمت بالقرامطة ويحقرهم ، ويمدح عدوهم الذي هزحلهم وعفرهم (٤٩) .

ومما يتشبت به ماسينيون متصورا أنه يدل على أن المتنبي إسماعيلي كلمة « نيزونا » في قوله يخاطب ابن الحميد :

جاء نيزونا وأنت مراده
وورث بالذى أراد زناده

وأنا ، في واقع الأمر ، لا أدري ماذا يقصد ماسينيون بالضبط . أيقصد أن المتنبي استعمل كلمة « نيزوز » ؟ ولكن ماذا فيها ؟ أم يقصد أنه أضافها إلى نفسه : « نيزونا » ؟ فماذا في هذه أيضا يدل على أنه إسماعيلي ؟ هل يقصد أن « النيزوز » مقدس (هو ويوم « المهرجان ») عند القرامطة ، إذ يصومون فيها ولا يصومون غيرها ؟ (٥٠) ولكن ليس في الأبيات شيء من هذا . علاوة على أن كثيرا من الشعراء العباسيين كانوا يحتفون بعيد النيزوز ويذكرونه في شعرهم كثيرا . ونحن المسلمون في مصر نحتفل بعيد « شم النسيم » ،

(٤٩) انظر العكبري / ٤ / ٢٦ / ٥٣٥ .

(٥٠) انظر في ذلك سعد محمد حسن / المهدي في الإسلام /

ورأس السنة الميلادية • وكنا نحتفل حتى وقت قريب بـ « وفاء النيل » ، ولا يقدح ذلك في إسلامنا • وينبغي أن نلاحظ أنه إذا كان المتنبي قد هلك للنيروز فإنه قد حقر كسرى وملكه بالقياس إلى ملك عضد الدولة ، الذي مدحه بأنه « عربى لسانه » • وفى هذا من الدلالة ما فيه (٥١) • وعلى كل فالقصيدة كلها مجاملة لابن العميد الذى نظمت فيه القصيدة ، اللهم إلا إذا قلنا إن ابن العميد كان قرمطيا ! وهذا ظاهر السخف •

على أن أسخف ما قال ماسينيون هو أن المتنبي باستعماله كلمة : « سلسال » إنما قصد أن يشير ، بحسب الجفر ، إلى الرقم الذى تشير إليه حروف كلمة « سلمان » ، وهو (١٨١) • فلم اختار ماسينيون هذه الكلمة بالذات من بين عشرات آلاف الكلمات فى شعر المتنبي ؟ وإذا كان المتنبي يستعين بحسب الجفر أفلم يكن ينبغي أن يكون ذلك مطردا فى شعره أم إن هذه الكلمة هى بيضة الديك ، كما يقولون ؟ وكيف عرف ماسينيون أن هذه الكلمة وحدها من كل شعر المتنبي هى كذلك ؟ بل كيف عرف أن المتنبي قد قصد إلى هذا ؟ ثم إن كان قد قصد ذلك فما معناه ؟ وهل كان المتنبي عاجزا عن أن يذكر اسم « سلمان » صراحة ، وهو الذى لم يكن يورى أو يدارى فى تعبيراته ؟ وماذا فى كلمة « سلمان » يدل على أن المتنبي إسماعيلى ؟ أ إلى هذا الإدراك الأسفل تتدهدى الدراسة العلمية على أيدي بعض

(٥١) انظر ديوان المتنبي / ٥٢٧ / بيت ٧ ، ٨ •

أناس ؟ إن مثل هذا الأسلوب يفتح الباب على مصراعيه لأي إنسان ليقول أى شيء . على أن البيت الذي وردت فيه هذه الكلمة إنما يدل على عكس ما يريد ماسينيون أن يلوى رقبته إليه ، وهذا هو (وهو من قصيدة في مدح عبد الرحمن بن المبارك الأنطاكي) :

أنت طورا أمر من ناقع السم
وطورا أهلى من السلسال

فإذا كانت كلمة « السلسال » تعنى عند ماسينيون « سلمان » (سلمان الفارسي فيما أقدر ، وهو من شيعه على رضى الله عنهما) فإن معنى الكلام حينئذ هو أن هذا الأنطاكي أفضل من سلمان ، فهل هذا ما يريد ماسينيون ؟ لا إدخال ، لأن هذه النتيجة تقلب فكرته رأسا على عقب .

ويدعى ماسينيون أن المتنبي قد استخدم كلمة « البداء » (ومعناها أن الله سبحانه بعد أن يقضى شيئا ويقدره يعود لمغيره بعد أن يبدو له أن غيره أفضل منه) . وهذا هو البيت الذي أحسب أن ماسينيون يقصده ، وهو من قصيدة يمدح بها أبا هارون الأوراجي المتصوف :

أبدأت شيئا ليس يعرف بدؤه
وأعدت هتئى أنكر الإبداء (٥٣)

(٥٢) « يعرف » و « انكر » : بالبناء للمجهول .

ومعنى البيت كما جاء فى الديوان هو : « أحدث من أفعال الكرم ما لم يكن محدثا من قبل ، ثم كررته حتى تسى حدوثة » (٥٣) . فهل ترى فى البيت أية صلة بـ « البداء » ؟ إن كلمة « البداء » لم ترد فيه أصلا .

ويمضى ماسينيون فيقول إن البيت التالى للمتنبى :

وما التأنيث لاسم الشمس عيب
ولا التذكير فخر للهِلال

يشير إلى الخلاف بين شيعة الكوفة حول تفصيل الميم « محمد » أو العين « على » ، فإن الشمس فى علم الفلك عند الشيعة تعنى محمدا ، والقمر عليا ، والزهرى فاطمة ، والفرقدى الحسن والحسين . وهذا فهم خاطئ تعاما للبيت ، فقد تكرر استعمال المتنبى لهاتين اللفظتين فى سياق تشبيه حبيباته وممدوحيه ببعض الكواكب والنجوم ، وليس فى أى سياق عقيدى . بل إنه كان يقببه الحبيبية أو الممدوح من هؤلاء بالشمس والقمر معا ، وليس من المعقول أنه كان يفضل الحبيبية والممدوح على نفسيهما . كما أنه كثيرا ما فضل ممدوحيه على

(٥٣) الديوان ١٢٨/٧٥ . ونفس الشرح فى العكبرى مع بعض الاختلاف فى العبارة (٢٨/٢٩/١) ، وإن كنت أرى أن « أنكر الإبداء » معناها أن ما كان كرما عظيما فى البداية أصبح ، بعد أن ارتقى الممدوح فى سلم الكرم درجات ودرجات ، شيئا تافها ينكره من يسمع به .

الشمس ، غفل معنى ذلك أنهم في نظره أفضل من الرسول عليه
 للصلاة والسلام ؟ ثم إنه في أحد أبياته قد وصف الشمس بعدم
 الحياء ، وفي بيت آخر جعلها تحسد ممدوحه ، وفي بيت ثالث
 تمنى أن تزول الشمس وتبقى خولة أخت سيف الدولة ، وفي بيت
 رابع نجده يقول إن السها والفراقد (لاحظ أن « الفرقدين »
 يعنيان الحسن والحسين ، كما قال ، وكما يريدنا أن نفهم شعر
 المتنبي) تلومه على حبه للشمس والبدر (الشمس كما يقول
 ماسينيون هي محمد ، والبدر ، أو القمر ، هو علي . لاحظ) .
 وهذا كله يقوض فكرة ماسينيون وطريقته في فهم الأبيات
 وتوجيهها (٥٤) .

وتبقى من الألفاظ والعبارات التي زعم ماسينيون أنها
 تثبت إسماعيلية المتنبي عبارة « أيا خدد الله ورد الخدود ! » ،
 التي تذكر باسم من أسماء الله ورد في « الرسالة الطنجية »
 لغلاة الشيعة ، وهو « مخدد الأخدود » ، مع أنه لا علاقة بين
 العبارتين ، فالمتنبي يدعو على الحسان أن يشوه الله جمالهن
 ويمزق خدودهن . وهذا هو البيت الذي وردت فيه هذه العبارة
 كاملا :

(٥٤) عالجت هذه المسألة بالتفصيل في كتابي « المتنبي -
 دراسة جديدة لحياته وشخصيته » ، / ٢١٤ - ٢١٦ ، وكذلك في كتابي
 « لغة المتنبي - دراسة تحليلية / ٢٨٦ - ٢٨٨ » .

أيا خدد الله ورد الخدود وقد قدود الحسان القدود

فها هنا ، كما ترى ، حسان وخدود ، وهناك نار وأخدود
(وذلك إن صح ما قاله ماسينيون ، فإنه يشير إلى مخطوط في
باريس يقول إن فيه هذه التسمية ، وهذا المخطوط ليس في
أيدينا) • ونظرة سريعة إلى البيت ترينا أن المسألة كلها عند
المتنبى أساسها رغبته في استغلال الجناس في التعبير عن سخطه
على الحال التي كان فيها ، إذ كان مرمايا آنئذ في السجن ، فهو
يريد أن يقول : ليس الألوان أو ان غزل ونساء ! وسوف نراه
يفتح قصيدة له أخرى قالها في ظروف مشابهة بعد بضعة
عشرات من السنين ، بتفضيل النوق السريعة التي تخمله بعيدا
عن أظاغير كافور وعيونه على النساء اللاتي يمشين في غنج
ودلال ، لأن الوقت ليس وقت غزل وحب ، بل هي مسألة حياة
أو موت ، مما يدل على أن الأمر ليست له علاقة بـ « مخدد
الأخدود » ، التي ذكرها ماسينيون ، بل بنفسية المتنبى الزاهدة
في الحديث عن النساء أو التغزل فيهن في ظروف السجن
والهرب • كذلك فإن الجناس غير مقصور على قوله : « خدد
الله ورد الخدود » ، بل هو موجود أيضا ، وبأوضح من ذلك ،
في قوله في الشطرة الثانية : « وقد قدود الحسان القدود » ،
مما يتسم على أن نقطة انطلاق المتنبى هي « الخدود »
(و « القدود » أيضا) لا « مخدد الأخدود » كما زعم

هاسينيون • ويعضد هذا تكرر احتمال المتبني لفظة « خدود »
كثيرا ، كما في قوله في صباه :

كم قتل كما قتلت شهيد
لبياض الطلى وورد الخدود

وقوله في قوم محمد بن إسحاق التنوخى وحزنهم عليه :

تدعى خدودهم الدموع ، وتنقضى
ساعات إيلهمو ومن دهور

وقوله في مدح أخيه الحسين بن إسحاق التنوخى :

وقد صارت الأجفان قرحى من البكا
وصارت بهارا في الخدود الشقائق

وقوله في مدح عبد الواحد بن العباس بن أبى الإصبع
الكايب :

أركائب الأحباب ، إن الأدمما
تطس الخدود كما تطسن اليرما

وقوله في قصيدة بدر بن حمار والأسد :

في اللخد إن هزيم الخليط رحيلا
مطوح قزيمد به الخدود معمولا

وقوله في وصفة يروقة :

حتى دخلنا جنة لو أن ساكنها مغلاد
خضراء حمراء التراب كأنها في خسد أقيد
وقوله من قصيدة له في سيف الدولة :

أينكر خدى دموعى وقد جرت منه في مسلك سابل ؟
وقوله في رثاء ابن سيف الدولة :

تركت خدود الغانيات وفوقها
دموع تذيب الحصن في الأعين النجلا

وقوله في وصف غلام : « وصدغاه في خدى غلام مراهق »
وقوله من قصيدة له في عضد الدولة :

إذا اشتبهت دموع في خدود
تبين من بكى ممن تباكى

المسألة إذن مسألة « خدود » لا « أخدود » ! (٥٥)
والعبارة على كل حال بالسياق ، وإلا فهل يمكن أن نصنف
البهاء زهير على أنه نبي وإمام لقوله في أبيات غزلية ساحرة :

أنا في الحب صاحب المعجزات
جئت للمعاشقين بالآيات

(٥٥) بالمناسبة كثيرا ما يوصف الوجه في اللغة العربية بأن فيه « أخاديد » ، دلالة على اللهم . ولا أمر كيف جفله هذه ماسينيون فلم يبين عليه نظرية !

كان أهل الغرام قبلى أهيب
من حتى تائقوا كلماتي

فأنا اليوم صاحب الوقت هذا
والمحبون شيعتي ودعائي ؟

فهذا من الألفاظ والمصطلحات التي يتوهم ماسينيون أنها
ألفاظ ومصطلحات إسماعيلية وأن استخدام المتنبي لها دليل
على أنه كان إسماعيلياً . إن للإسماعيليين مصطلحاتهم وأفكارهم
وعقائدهم الخاصة بهم ، مما لا وجود له في شعر المتنبي .
فـ « الإمامة » مثلاً أهم عقيدة في عقائد الفاطميين بل في عقائد
الشيعة عامة ، هي إحدى دعائم الإسلام ، بل الإمامة المحور
الذي تدور عليه عقائد الشيعة ، فلا دين عندهم لمن لا يعتقد
إمامة الأئمة المنصوص عليهم من أهل بيت الرسول ، ولا يقبل
الله عمل مسلم إن لم يعتقد ويؤمن بولايتهم ويطيعهم مثل
طاعتهم للرسول الكريم وطاعتهم لله تعالى ، (٥٦) . وليس في
شعر المتنبي شيء من هذا ولا ما يتصل به من قريب أو من بعيد ،
كحق أهل البيت في الخمس من الغنائم (٥٧) ، وما ينبئ من
تولى من وإلى الأئمة ومحبته وعداوة من عاداهم وقطيعة

(٥٦) د . محمد كامل حسين ، من مقدمته لـ « كتاب الهمية
في آداب اتباع الأئمة » للقاضي النعمان بن محمد المغربي / ١٩ .
(٥٧) كتاب الهمية في آداب اتباع الأئمة / ٦٨ . والغنائم هنا
هي كل ما يكسبه المسلم .

وبغضه • وليسنا بحاجة إلى القول إنه وإلى من عاداهم ككافور
مثلا ، بل إنه أطلق لفظ « الإمام » ، مرة على الأقل ، على الخليفة
العباسي :

افتح الجفن ، واترك القول في النور

م ، وميز خطاب سيف الإمام

فسيف الإمام هنا هو سيف الدولة ، وهذا اللقب قد أطلقه
عليه الخليفة العباسي ، الذي هو المقصود بالإمام في البيت (٥٩) •
ومن مصطلحات الفاطميين وعقائدهم التي يتميزون بها
« الحدود انجسمانية » و « العقل الكلي » • « ذلك أن
الفاطميين قد نزهوا الله عن كل الصفات ... أما أسماء الله
الحسنى التي وردت في القرآن الكريم فقد أولها الفاطميون على
أنها أسماء وصفات « العقل الكلي » الذي هو أقرب الحدود
الروحانية إليه تعالى ... وبناء على ذلك أول الفاطميون قوله

(٥٨) السابق / ٨١ وما بعدها •

(٥٩) انظر العكبري / ٣/ ٣٧٧/ ٥هـ • وحتى لا يكون ثمة

شك في ذلك أسوق هذين البيتين اللذين يشير الشاعر فيهما إلى
الخليفة العباسي وسيف الدولة :

فيا عجبا من دائل أنت سيفه

أما يتوقى شفرتي ما تقلدا ؟

انظر العكبري / ١/ ٢٨٧/ ٢٥هـ • قارن ذلك بتسمية الأستاذ

جوزر للمنصور (الخليفة الفاطمي) بـ « سيف أمير المؤمنين » ،

ويقصد بـ « أمير المؤمنين » أبا المنصور (القائم) ، فقد كان الخليفة

الفاطمي يسمى « أمير المؤمنين » • انظر سيرة الأستاذ جوزر /

٤٥ •

تعالى : « ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها » بأن المؤمن عليه أن يتقرب إلى الله ويعبده حق عبادته بمعرفة الحدود الروحانية (وهم الملائكة) المقربين إليه • وبناء على نظرية « المثل والمثول » « نجد حدودا جسمانية تقابل الحدود الروحانية • والنبى فى عصره هو الذى يقابل « العقل الكلى » • وصفات « العقل الكلى » تطلق على النبى • ولما كان « الإمام » هو خليفة النبى صلى الله عليه وسلم والقائم مقامه فتنطبق عليه أيضا هذه الصفات التى هى صفات وأسماء العقل الأول (الكلى) « (٦٠) • وليس عند المتنبى شىء من هذا كله • وإذا كانت كلمة « العقل » تتردد فى شعره ، كما تتردد فى شعر أى شاعر آخر ، فهو « العقل » البشرى العادى ، لا « العقل الأول » أو « العقل الكلى » من مثل قوله :

ذو العقل يشقى فى النعيم بعقله
وأخو الجهالة فى الشقاوة يتعمم

وقوله :

لولا العقول لكان أدنى ضيغم
أدنى إلى شرف من الإنسان

(٦٠) كتاب الهمة فى آداب اتباع الأئمة / ص ٢٦ من المقدمة .
وانظر أيضا مقدمة د . محمد كامل حمين لـ ديوان المؤيد
لدين الله / ٥١ ، ٩٧ - ٩٨ •

ومن أسماء « العقل الكلي » عند الفاطميين « القلم » (٦١)،
بمعنى لا يستعمل المكتبي هذه اللفظة إلا في معناها المادى :

حتى رجفت وأقلامى قوائلى لى :

المجد لل سيف ، ليس المجد للقلم

أكتب بنا أبدا بمد الكتاب به

فإنما نحن للأسياف كالخدم

وإخوان الصفا مثلا يسمون الموت « البعث الأصفر » ،
وذلك فى مقابل « البعث الأكبر » ، الذى يقصدون به عودة
« النفس الكلية » إلى بارئها . وهذه « النفس الكلية » هى
جماع « النفوس الفردية » التى تعود إليهما مطهرة بعد
الموت (٦٢) . فكل فى شعر المكتبي شيء من هذا ؟

و « الجنة فى معتقد الإسماعيلية رمز إلى حالة النفس التى
حصلت العلم الكامل ، ويرمز بالجنيم إلى حالة الجمالة » (٦٣) .
والأمر بالنعكس عند المكتبي ، بالحق وإن كان يفرق بين
الإنسان والحيوان هو منطبة السماء والمعموم ، على حين أن
الجهل مرادف للنعيم :

(٦١) انظر هـ . محمد كامل حنين / الحياة الفكرية والأدبية
بمصر من الفتح العربى حتى أواخر الدولة الفاطمية / ١٦٦ .
(٦٢) انظر مادة « إخوان الصفا » فى « دائرة المعارف
الإسلامية » ، (الترجمة العربية) / مجلد ٢ / ٤٥٢ - ٤٥٤ .
(٦٣) دائرة المعارف الإسلامية / مجلد ٣ / ٢٨٢ (من مادة
« الإسماعيلية ») .

ذو العقل يشقى في النعيم بعقله
وأخو الجهالة في الشقاوة ينعم
هذه ناحية ، والناحية الأخرى أن الأبيات التي ورد فيها
عند المتنبي لفظ « الجنة » إنما تشير إلى أنه يقصد الجنة
كما وردت في القرآن :

فاطلب العز في لفظي واطلب الذ
ل ، ولو كان في جنان الخلود

* * *

وزيارة عن غير موعد
كالغمض في الجفن المسدود

معجت بنا فيها الجياد
د مع الأمير أبي محمد
حتى دخلنا جنة
لو أن ساكنها مخلص

* * *

يقول بشعب بوان حصاني :
أعن هذا يسار إلى الطعان ؟
أبوكم آدم سن المعاصي
وعلمكم مفارقة الجنان

ومما يختص به الفاطميون أيضا أنهم لا يعتبرون رؤية الهلال ، بل يجتطون الشهر الأول من السنة الهجرية (وهو المحرم) ثلاثين يوما ، والثاني تسعة وعشرين ، والثالث ثلاثين ، والرابع تسعة وعشرين ، وهكذا بالتناوب بقية شهور السنة . وعلى هذا فشحان عندهم تسعة وعشرون ، ورمضان ثلاثون (٦٤) . ولكننا ننظر في شعر المتنبي فنجد أنه يتحدث عن رؤية الهلال حديث المعتفى المستبشر . يقول لسيف الدولة :

الصوم والفطر والأعياد والعصر
منيرة بك ، حتى الشمس والقمر

تري الأملية وجهها مم ناطله
فما يخص به من ذوقها البشر (٦٥)

ويقول في ابن الحميد ، والرؤية هنا وإن كانت مجازية (لأن المقصود بالهلال هنا هو ابن الحميد) فإن للكلام دلالة التي لا تخفى :

أفتى برؤيته الأنعام وحاش لي
من أن أكون مقمرا أو مقمرا

(٦٤) انظر في ذلك : محمد كامل حسين / ١٩ - ٢٠ من مقدمته لـ « سيرة المؤيد في الدين داعي الدعوة » .
(٦٥) ترى : بضم التاء وكسر الزاء وحدها . و « الأملية » و « وجهها » : مفعولان . والفاعل تقديره « أنت » . يقصد سيف الدولة .

صفت السوار لأبي كسف بشرت

بابن العميد وأبي هدد كجرا

في الصورة إجمالاً ، وعناصرها تفصيلاً ، وشعور البهجة والاستبشار الذي يكتنفها ، كل ذلك مأخوذ من رؤية الملاك الحقيقي ، التي لا يعتد بها الفاطميون ، بل يتابعون إمامهم في صومه وغطره ، بناء على القاعدة التي مر ذكرها (٦٦) . أما القرامطة فصيالمهم يومان في العام : النيروز والمهرجان (٦٧) .

وبالنسبة للأعداد نجد أن العدد « سبعة » يحتل مكانة خاصة في الفكر الإسماعيلي ، فالكواكب السيارة سبعة ، والأرضون سبع ، والأنبياء الناسخون للشرائع سبعة ، والأئمة عندهم سبعة . والمرة الوحيدة التي وجدت المتنبي قد ذكر فيها العدد (سبعة) كانت وصفاً للسموات السبع ، وذلك في قوله يمدح على بن إبراهيم التتويحي :

فلما جئته أعلى محلى

وأجلسني على السبع الشداد

(٦٦) انظر في ذلك أيضاً الميرزى / التماط الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء / ١٦٥/ ١٥ و ٥٠ محمد كامل حسين / الحياة الفكرية والأدبية بمصر / ٦٦ ومقدمته لفيضان الزيد في الدين / ٢٣/ ١٥ ، و ص / ٢٩ .

(٦٧) انظر محمد محمد حسين / المهدي في الإسلام / ١٧٢ .

(٦٨) انظر محمد محمد حسين / المهدي في الإسلام /

١٤٥ - ١٤٦ .

و « السبع الشداد » ، كما هو معروف ، تعبير قرآني صميم (٦٦) .

كذلك فقد « آمن إخوان الصفا بأن لحركات أشخاص الأهلak أصواتا ونعمات ، وأن أشخاص الأهلak هؤلاء هم ملائكة الله وخلص عباده ، يسمعون ويصرون ويعقلون ، ويسبحون الليل والنهار لا يفترون . وتسبيحهم ألحان أطيب من قراءة داود للزبور في المحراب ، ونعمات ألد من نعمات أوتار العيdan الفصيحة في الإيوان العالى . . . إلخ » (٧٠) . وليس في شعر المتنبي شيء من ذلك البتة . وقد درست موضوع « النجوم والكواكب » عنده دراسة مفصلة ، فلم أجد فيه أدنى صدى لهذا (٧١) .

ويذكر برنارد لويس أن من عقائد الإسماعيلية « الأبوة الروحانية أو النكاح الروحي » (٧٣) ، ونحن نتساءل : لم لم يتخذ المتنبي هذه العقيدة لينسب نفسه إلى شخص عظيم ،

(٦٩) التبا / ١٢ (ونص الآية هو : « وبينا فوقكم شيعا خلادا ») .

(٧٠) د . علي سامي النشار / نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام / ١٥ / ١١٠ . وانظر رسائل إخوان الصفا / ١٥٢ / ١٦٨ .

(٧١) انظر كتابي « لغة المتنبي - دراسة تحليلية » ، ٢٧٦ / - ٢٨٦ .

(٧٢) أصول الإسماعيلية / ١١٧ .

إذ غاته أن يكون أبوه رجلاً ذا شأن وخطر (٣) ؟

وهكذا نستطيع أن نمضى فى المقارنة بين مصطلحات القرامطة والفاطميين وإخوان الصفا وعقائدهم وأفكارهم وبين مثيلات ذلك عند المتنبى ، ولن نجد تشابهاً بينه وبينهم . أما تشاؤم المتنبى ومرارته ، اللذان يحاول ماسينيون عبثاً إرجاعهما إلى أصل قرمطى ، فهما نتاج ظروفه الاجتماعية والنفسية ، فقد نشأ فقيراً يتيماً ، وكتبت عليه الغربة زمناً طويلاً ، وذاق مرارة الحرمان ، وكان عليه أن يصوغ عقود المديح ويطوق بها أعناق من يراهم دونه فى مواهبه العقلية والنفسية ، ورأى الناس يعادونه أينما حل (وإن كان هو أيضاً مسؤولاً عن هذا بتكبره عليهم وتلذذه بغيظهم منه وعدم المداراة فى كلامه وشعره) . ثم هناك دسائس البلاط عند سيف الدولة وكافور ، وتألب الحائمي وعدد من شعراء بغداد عليه إرضاء للوزير المهلبى ، الذى ترفع عن مدحه . وكذلك لا ننس الأوضاع السياسية والاجتماعية المضطربة فى عصره ، والتدخل الأخلاقى السائد ، وكذلك غراره من حلب ومصر خائفاً يترقب . وأما إكثاره من ترديد كلمة « الفتى » ، فلا أدرى لم قصرها ماسينيون على الشيعة وحدهم ، مع أن الصوفية قد أكثروا من استخدامها فى شعرهم ، وكذلك عرفها العباسيون والمماليك والأتراك ، بل

(٧٢) أو لأنه ليس له أب معروف ، على حسب نظرية د . طه حسين ، الذى يقول إنه ابن غير شرعى . هذه النظرية التى أخذها عن ماسينيون ، كما سوف نرى بعد قليل ، وادعائها لنفسه كمادته .

أن د. أحمد أمين قد رجع بها إلى عصر الجاهلية ؟ (٧٤) وقد رأينا المتنبي يطلقها حتى علي من نكلوا بالقرامطة ، كسيف الدولة ودلير بن لشكروز ، بل أيضا على غلمانسه وعلى بعض الروم (٧٥) . كما أنى بالمصادفة وقعت ، وأنا أعد هذا البحث ، على مرثية البحتري في ابن حميد الطوسي (٧٦) ، فرأيته يطلق عليه لفظة « فتي » خمس مرات . ولم يكن البحتري شيعيا فضلا عن أن يكون قرمطيا . وهذا بعد مجرد مثال عارض .

ومن عجيب ما زعم ماسينيون قوله إن المتنبي رفض التغنى بالخمير أو وصف الجمال الجسدي ، وإرجاعه ذلك إلى التأثير القرمطي . ووجه الغرابة أنه يرجع ذلك إلى تأثيرات قرمطية ولا يرجعها إلى كونه مسلما . وهذا إن صح أنه فعلا رفض التغنى بالخمير وجمال المرأة الجسدي ، فإن له أبياتا كثيرة يصف فيها مفاتن المرأة الجسدية . وقد أوردت شواهد كافية منها في كتابي « المتنبي - دراسة جديدة لحياته وشخصيته » (٧٧) . أما بالنسبة للخمير فإنه ، وإن لم يكن مفرما

(٧٤) انظر د. أحمد أمين - / الصعلكة والفتوة في الإسلام / ١٨ وما بعدها ، ٥٥ - ٥٩ ، ٦٦ - ٦٧ ، ٧٢ - ٧٣ ، ٧٥ - ٧٦ .
 (٧٥) انظر فصل « الفتي » من كتابي « لغة المتنبي - دراسة تحليلية » / ١٠٦ - ١١٠ .
 (٧٦) هي قصيدة :

كذا فليجل الخطيب ، وليفدح الأمر

فليس لعين لم يفض ماؤها عذر

(٧٧) ص / ٢٠٧ - ٢١٠ . وانظر أيضا كتابي « لغة

المتنبي - دراسة تحليلية » / ٢٢٦ - ٢٢٦ ، حيث أوردت عدداً غير

بها ، قد شربها في بعض المناسبات ، وتحدث عنها في بعض شعره (٧٨) . وعلى كل حال ، فالقراطة ، وإن حرموا النبيذ لم يكونوا يسحبون هذا التحريم على الخمر (٧٩) . كما أنهم قد جعلوا النساء مشاعا بينهم ، ولم يراعوا في هجومهم على مكة والكوفة وغيرهما من بلاد المسلمين لعرض حرمة ، إذ كانوا يحلون الزنا واللواط .

أرجو بعد هذه الدراسة المستقصية أن تكون هذه السحابة التي أطلق غازها السام الأسود ماسينيون (٨١) (وبلاشير من قبله ، حين جعل المتنبي متأثرا بآراء القراطة) قد انجابت عن أفق سماء المتنبي .

= قليل من أبياته التي يستعمل فيها الألفاظ العارية في هجائه ونسييه على السواء .

(٧٨) انظر المتنبي - دراسة جديدة لحياته وشخصيته / ٢٦٦ - ٢٦٨ .

(٧٩) انظر مثلاً سعد محمد حسن / المهدية في الإسلام / ١٧٢ .

(٨٠) انظر « المتنبي - دراسة جديدة لحياته وشخصيته » / ٢٠٦ - ٢٠٧ .

(٨١) وقد التقط د. طه حسين، كمادته مع نظريات المستشرقين وأرائهم ، هذه النظرية وبسطها في كتابه « مع المتنبي » ، و د . أحمد أمين في « الصعلكة والفتوة في الإسلام » ، و د . مصطفى الشكعة (وإن مال إلى رأي بلاشير لا إلى رأي ماسينيون) في كتابه « أبو الطيب المتنبي في مصر والعراق » وغيرهم . وانظر كتابي « المتنبي - دراسة جديدة لحياته وشخصيته » / ٢٠٠ - ٢٢١ ، حيث ناقشت هذه النقطة وتوسعت في بعض جوانبها أكثر مما فعلت هنا .

على أنه قد بقيت نقطة أخيرة هامة ، وهي أن الخطرية التي ادعى فيها د. طه حسين أن المتنبي ابن غير شرعي لأحد القرامطة ، والتي يقول د. مصطفى الشكعة إن الدكتور طه حسين ، حتى بعد أن كتب كتابه عن المتنبي بسنوات طوال ، ظليفاً في معاصراته التي كان يلقيها على طلبته في الجامعة (ومنهم د. الشكعة) بأنه أول من توصل إليها ^(٨٢) ، إنما هي مأخوذة من ماسينيون ، إذ قال في عبارة قصيرة عارضة ^(٨٣) : إن المتنبي ينتسب انتساباً غير شرعي (من قبل أمه) إلى الفاطميين ^(٨٤) .

(٨٢) عالجت موضوع عقيدة المتنبي بالتفصيل في كتابي « المتنبي - دراسة جديدة لحياته وشخصيته » ، وانتهيت بعد الدراسة المتأنية والمستقصية لشعره ، والظروف التي نظمها إلى أنه مسلم عادي ، بلا هرطقات أو انحرافات . انظر الفصل الثالث من الكتاب المذكور / ١٦٥ - ٢٢٩ .

(٨٣) انظر د. مصطفى الشكعة / أبو الطيب المتنبي في مصر والعراقين / ٢٢ - ٢٣ .

(٨٤) انظر هامش / ١٠ في الترجمة العربية لبحث ماسينيون المنشورة في هذا الكتاب .

(٨٥) كما ترى ، لم يفصل ماسينيون القول في ذلك ، ولا ذكر على أي أساس أقام هذا الحكم ، ولا إلى أي مرجع استند . وبالتالي فلا أستطيع أن أناقش هذا الرأي الغريب . ومع ذلك فقد بينت تهافت نظرية طه حسين ، وذلك في كتابي « المتنبي - دراسة جديدة لحياته وشخصيته » (في الفصل الأول الخاص بنفس الشاعر) .

(٨٦) انظر كتابه « مع المتنبي » / ١١ - ٢٥ .

(٨٧) هذا ، وليس هنا موضع الرد على هذه التهمة فقد عالجت ذلك في كتابي « المتنبي - دراسة جديدة لحياته وشخصيته » / ٩ - ٢٧ .

فأخذ الدكتور طه هذه العبارة وكبرها وفصلها وحوّر فيها ليصبح المتنبي في نهاية المطاف عنده ابن سفاح لأحد جنود القرامطة الذين هجموا على الكوفة (٨٦) لقد أصدر ماسينيون بحثه هذا قبل كتاب الدكتور طه « مع المتنبي » ، وكان هذا البحث أهد المراجع التي رجع إليها طه حسين . وقد كان أيضا صديقا حميما لذلك المستشرق الفرنسى ومعجبا به وبما يكتبه ، شأنه مع كل المستشرقين تقريبا . ثم إنه قد كتب كتابه ذاك وهو يقضى الصيف كمادته في فرنسا ، أى قريبا من ماسينيون (٨٨) ! هذا ، وبالله التوفيق

(٨٨) مرة أخرى ، أرجو أن يراجع القارئ الفصل الذى تحدث فيه الصحفى اللبناني أسكندر الرياشى (فى كتابه « رؤساء لبنان كما عرفتهم ») عن الدور القذر الذى قام به ماسينيون فى بلاد الشام للتمكين للاستعمار الفرنسى فى هذه البقعة من بلادنا العربية الإسلامية ، وصندوق الاموال الذى كان معه للإتفاق مذهب على هذه الغاية ، وهى طبعاً أموال المسلمين اغتصبها منهم الفرنسيون . والفصل عنوانه « عندما فتش الفرنسيون صناديق الذهب » (ص ٢١١ - ٢٥٤) . ومن العناوين الفرعية فى هذا الفصل : « الصندوقى كان اسمه « ماسينيون ! » ، و « مر بطريقك على الكابتن ماسينيون » . وهما عنوانان لهما دلالتهما . كذلك أرجو أن يرجع القارئ الكريم إلى ما ذكره مالك بن نبي عن هذا المستشرق ، فى مذكراته المسماة « مذكرات شاهد القرن » . وسوف يعرف حقيقة ذلك الرجل ، الذى يعجب به ويثنى عليه بعض منا . إننى أعرف أن هناك مناطق زلقة يؤذى من يقترب منها ، بيد أن الباحث الذى يؤمن بربه ويحب وطنه لا يبالى ويحتسب ما يصيبه من أذى عند الله ، ولعله مبعثاته يرضى ، فما عند البشر ينفد ، وما عند الله باق ، وحسبنا الله ونعم الوكيل !

مراجع المراسلة

- د. إبراهيم عوض / لغة المتنبي - دراسة تحليلية / مطبعة الشباب الحر ومكتبتها / ١٩٨٧ .
- د. إبراهيم عوض / المتنبي - دراسة جديدة لحياته وشخصيته / ١٩٨٧ .
- إخوان الصفا / رسائل إخوان الصفا (٤ ، ٣ / ٢) (تصحيح : خير الدين الزركلى) / المكتبة التجارية الكبرى / القاهرة / ١٩٢٨ .
- إسكندر الريحاني / رؤساء لبنان كما عرفتهم / منشورات المكتب التجاري / بيروت / ١٩٦١ .
- إميليو غرسيه غومث / مع شعراء الأندلس والمتنبي - سير ودراسات (ترجمة : د. الطاهر أحمد مكي) / ط ٣ دار المعارف / ١٩٨٣ .
- البديعي / الصبح المنبي عن حيثة المتنبي (تحقيق : مصطفى السقا ، ومحمد شتا ، وعبد زينة عبده) / ط ٢ / دار المعارف .
- برنارد لويس / أصول الإسماعيلية (ترجمة : خليل أحمد جالو ، وجاسم محمد الزجب) / منشورات مكتبة المتنبي ببيفداد .
- بطرس البستاني / محيط المحيط / بيروت ١٨٧٠ م (١٢٨٦ هـ) .
- الجلالين (تفسير ، بحاشية الصاوي) (١ / ٢) / المكتبة التجارية الكبرى / القاهرة / ١٩٣٨ .

- الحاتمي / الرسالة الحاتمية (فى ذيل « الإبانة عن سرقات المتنبي » للعميدى ، بتقديم وتحقيق وشرح إبراهيم الدسوقي البساطى) / دار المعارف بمصر / ١٩٦١ .
- الحاتمي / الرسالة الموضحة (تحقيق : د . محمد يوسف نجم) / دار صادر ودار بيروت / ١٩٦٥ .
- دائرة المعارف الإسلامية (الترجمة العربية) (مجلد ٢ ، ٣) .
- الداعى ثقة الإمام علم الإسلام / المجالس المستنصرية (تحقيق : د . محمد كامل حسين) / ط ١ / دار الفكر العربى .
- سعد محمد حسن / المهدية فى الإسلام منذ أقدم العصور حتى اليوم / دار الكتاب العربى بمصر / ١٩٥٣ .
- الطبرسى (تفسير) (المجلد ٢ / ٤) / منشورات دار مكتبة الحياة / بيروت .
- د . طه حسين / مع المتنبي / دار المعارف / ط ١١ .
- عارف تامر / القرامطة / دار الكاتب العربى ببيروت ومكتبة النهضة ببغداد .
- عبد الحميد حسن / صفحات من الأدب المصرى من العصر الفاطمى إلى النهضة الحديثة / ط ١ / دار الفكر العربى .
- العكرى / التبيان فى شرح الديوان (ضبط، وصححه ووضع فهارسه : مصطفى السقا ، وإبراهيم الإيبارى وعبد الحفيظ شلبى) (٤ أجزاء) / مصطفى البابى الحلبي / ١٩٧١ .
- الفيروزآبادى / القاموس المحيط .
- القاشانى / اصطلاحات الصوفية (تحقيق وتعليق د . منعم

كمال إبراهيم جعفر) / الهيئة المصرية العامة للكتاب /

١٩٨١ .

المتنبى (ديوان) (مجلد واحد مطبوع طباعة حديثة ، لكنه غفل من اسم الناشر ومن التاريخ) .

د . محمد كامل حسين / الحياة الفكرية والأدبية بمصر من الفتح العربى حتى آخر الدولة الفاطمية / سلسلة « الألف كتاب » / مكتبة النهضة المصرية .

محمود شاكر / المتنبى / السفر الثانى / مطبعة المدنى / القاهرة / ١٩٧٧ .

(الإمام) المستنصر بالله أمير المؤمنين / السجلات المستنصرية (تقديم وتحقيق : د . عبد المنعم ماجد) / دار الفكر العربى / ١٩٥٤ .

د . مصطفى الشكعة / أبو الطيب المتنبى فى مصر والعراقين / عالم الكتب / بيروت / ١٩٨٣ (١٤٠٣ هـ) .

مصطفى غالب / تاريخ الدعوة الإسماعيلية منذ أقدم العصور حتى عصرنا الحاضر / دار البقطة العزبية للتأليف والترجمة والنشر بسورية .

المقريزى / اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا (نشر وتحقيق : د . جمال الدين الشيال) / دار الفكر العربى / ١٩٤٨ .

(أبو على) منصور العزيزى الجوزرى / سيرة الأستاذ جوزر (تقديم وتحقيق : د . محمد كامل حسين ، و د . محمد عبد الهادى شعيرة) / دار الفكر العربى .

ابن منظور / لسان العرب

● المؤيد في الدين داعي الدعاة / ديوان المؤيد في الدين (تقديم وتحقيق : محمد كامل حسين) / دار الكاتب المصري / ١٩٤٩ .

● المؤيد في الدين داعي الدعاة / سيرة المؤيد في الدين داعي الدعاة (تقديم وتحقيق : محمد كامل حسين) / دار الكاتب المصري / ١٩٤٩ .

● المؤيد في الدين الشيرازي / المجالس المؤيدية (تلخيص : جاتيم بن إبراهيم ، وتحقيق : د . محمد عبد القادر عبد الناصر) / دار الثقافة للطباعة والنشر / القاهرة / ١٩٧٥ .

● (المقاضي) النعمان بن محمد المغربي / كتاب الهمة في آداب اتباع الأئمة (نشر وتحقيق : د . محمد كامل حسين) / دار الفكر العربي .

● (القاضي) النعمان بن محمد / دعائم الإسلام (د/١) (تحقيق : أصف بن علي أصفري فيضاني) / دار المعارف بمصر / ١٩٥١ .

● النيسابوري (تفسير - على هامش تفسير الطبري) (د/٣) / المطبعة الميمنية بمصر .

● النسوي / مراجع لببب (تفسير) (د/١) / عيسى البابي الحلبي .